جـامعة الجيلالي بونعامة خميـس مليـانة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ

حركة رابح بن فضل الله ودوره في بحيرة التشاد

1845 . 1900م

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص دراسات افريقية

من إعداد الطالبتين:

– حليمة بوطاقة

– زهية عوامر

إشراف الدكتور:

– نور الدين شعباني

السنة الجامعية :1437 . 1438هـ/20172016 م

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه

والصلاة والسلام على حبيبنا، شفيعنا قرة أعيننا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

نحمد الله العظيم المستعان الكريم على عظيم فضله وسخاء عطائه على إنارة دربنا الشائك بصبر وسعة صدر.

– كما نتقدم بخالص شكرنا وعرفاننا للأستاذ المشرف الدكتور« نور الدين شعباني » على توجيهاته القيمة ودعمه لنا طيلة مشوارنا الجامعي ووقف بجانبنا ولم يقصر في حقنا حيث نعتبره قدوة لنا في المستقبل نسأل الله له التوفيق والنجاح.

– كما نتقدم بالشكر لجميع الأساتذة في قسم التاريخ خاصة أساتذة تخصص دراسات أفريقية إلى كل من ساعدنا على قيام بهذا العمل من قريب أو من بعيد ولو بكلمة طيبة.

– إلى كل من قيل فيهم «كاد المعلم أنَ يكون رسولا ».

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإلى ملاكي في الحياة إلى معنى والحب والحنان وبسمة وجودي على من كان دعائها سر نجاحي إلى من أوصانا بها الله خيرا والتي جعلت الجنة تحت أقدامها « أمي الحبيبة »

إلى من سهر الليالي ليجعلنا سعداء إلى من كان سندي ودعمي إلى من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من أحمل اسمه بكل بافتخار « أبي الغالي »

إلى سندي في هذه الدنيا إخوتي: رشيد، محمد، جيلالي، عبد الله، إسماعيل، توفيق وخاصة إلى من تعب من أجلي ولم يبخل علي بعطائه إلى أخي الغالي " علي ". و أخواتي: زهرة، خيرة، غنية، فوزية، وأزواجهن وإلى أختي الحبيبة " هجيرة "وإلى كل أحفاد العائلة.

وإلى زوجي العزيز مصطفى وعائلته الكريمة.وإلى أروع صديقاتي اللواتي تركوا بصمتهم في ذكرياتي: حسيبة، رزيقة، صورية، نوريدة، خولة، نورة، شفيقة، عائشة، سامية، عاشوراء، فاطيمة.

إلى زميلتي وأختي زهية التي تقاسمت معي أعباء إنجاز بحثنا هذا وإلى عائلتها الكريمة.

وإلى كل الأساتذة وبالأخص أستاذي الذي كان قدوتي في مساري الجامعي الدكتور " نور الدين شعباني ".

إلى كل من في ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي أهديهم ثمرة جهدي وعملي.

حليمة

الإهداء

بعد السجود لله تعالى على نعمته التي لا تحصى أبدا وعلى كرمه الذي لا ينقضي أمدا وحسن توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل المتواضع الذي أهديه إلى من أوصانا بهما القرآن إلى أغلى ما أملك في الدنيا إلى التي حملتني وهنا ووضعتني وهنا، إلى من كانت شمعة تنير دربي إلى من كانت تسقيني حبا وعطاء وكانت بدعائها في الليل والنهار سر نجاحي إلى من علمتني معنى الحياة إلىمن القلب يهواها والعمر فداها وأطلب من الله أنَ يرعاها إلى

« أمي الغالية »

إلى سندي في مشواري الذي علمني حب الخير والاعتماد على النفس إلى الذي جعلني أعرف معنى التحدي والنجاح إلى من تعب لأرتاح وهيأ لي أسباب النجاح إلى« أبي الغالي»

إلى أعز ما يملك قلبي بعد الله ووالدي أخواتي اللواتي كنَ سندي وظهري على مر الزمان: كريمة، فوزية، مليكة، عودة، نورة،وأزو اجهنوا إلى إخوتي: يحي وزوجته فتيحة و الى الغالي الدلوع حسام إلى من كانتا نورا يضيء دربي بنات وأولاد أخواتي: محمد أمين، خلود، خديجة، لؤي ومحمد وكل أفراد العائلة عمتي وأخوالي وخالاتي.

إلى من خانتني الكلمات في وصفهم فلم تعد كل الكلمات قادرة على وصف ولو جزء بسيط صديقاتي : فاطيمة، كنزة، إيمان، لطيف، إنصاف، حنان،أحلام.

إلى من آنستني في الدراسة وشاركتني في إنجاز هذا العمل أختي وزميلتي حليمة وزوجها مصطفى. وا إلى كل أساتذة دراسات أفريقية ولا أنسى بالأخص أستاذي الذي ساندني وأفادني بكل ما لديه" نور الدين شعباني "وا إلى كل من في ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي أهديهم ثمرة جهدي .

زهية

بسم الله الرحمن الرحيم

قائمة المختصرات:

ص : صفحة .

تح : تحقيق .

م : مجلد .

ط : طبعة .

د. ط : دون طبعة .

د. ت : دون تاريخ .

د. د. ن : دون دار النشر .

د. س. ن : دون سنة النشر .

ع : العدد .

د. م. ن : دون مكان النشر .

تر : ترجمة .

P : page.

مقدمـــــــة

ملخص المذكرة:

كان رابح بن فضل الله واحدا من ضباط الزعيم السوداني المعروف الزبير باشا، الذي تمكن من إقامة إمارة خاصة به في إقليم بحر الغزال ثم امتدت لتشمل كردفان ودارفور، وبسبب التحريض البريطاني باتهامه بتجارة الرقيق بدأت السلطات المصرية في الخرطوم بمضايقته، فرحل مع حاشية ضخمة إلى القاهرة ليؤكد للخديوي إسماعيل بأنه موالي لمصر وليس لديه أي نوايا انفصالية، لكنه أحتجز هناك ومنع من العودة، فتولى ابنه سليمان إدارة البلاد إلا أنَ غوردون حاكم السودان ما لبث أنَ دبر ضده مؤامرة فاتهمه بمحاولة الانفصال هو الآخر، وأرسل إليه قوة بقيادة الضابط الإيطالي جسي، وبناء على نصيحة والده الزبير استسلم سليمان لجسي مؤكد حسن نواياه إلا أنَ الأخير سرعان ما غدر به وقتله مع عدد من أقاربه، وكان رابح فضل الله أحد ضباط سليمان البارزين الذي لم يؤمن جانب هؤلاء الأجانب فرفض الاستسلام مع سليمان، واتجه غربا مع نحو ألف مقاتل من أتباعه المسلحين بالبنادق، واستولى على مناطق متعددة في جنوب مملكة وداي ثم أخذ يتوسع تدريجيا حتى تمكن من تكوين مملكة واسعة سنة 1892م ضمت أجزاء من مملكة وداي وكل من مملكتي باغيرمي وبرنو وأجزاء من مملكة سوكوتو، واتخذ من مدينة دكوة عاصمة له، وشكل تدريجيا جيشا قويا وبذلك أسس أول دولة عربية إسلامية حديثة في تشاد وأجزاء من الكاميرون والنيجر الحالية، وهذا ما أدى إلى اصطدامه بالتغلغل الفرنسي في وسط القارة الأفريقية ودارت بينهما معارك طاحنة استمرت على مدى سبع سنوات انتهت باستشهاد رابح فضل الله والقضاء على مملكته 1900م، بعد أنَ استقدمت فرنسا قوات كبيرة من الجزائر وغرب أفريقيا، فتولى ابنه فضل الله قيادة المقاومة العربية هناك حتى استشهد هو الآخر سنة 1902م.

مقدمـة:

تركت لنا المصادر التاريخية الكثير من النماذج البطولية لزعماء مسلمين تصدوا للغزو الأوروبي في القارة الإفريقية سواء في جزئها الشمالي أو الغربي أو الشرقي، فمنهم من نالوا الشهرة و أنصفتهم الكتابات التاريخية ومنهم من لم يحض بكثير من الصيت الإعلامي.

ولعله من أبرز الزعامات الإفريقية التي أبلت بلاء حسنا في التصدي للاستعمار في السودان الأوسط، دون أن تحظى بالنصيب الأوفر من الذكر التاريخي هو شخصية رابح بن فضل الله المعروف أيضا برابح الزبير، نسبة إلى قائده السوداني المعروف الزبير باشا رحمة المنصور والذي تمكن من إقامة إمارة خاصة به في إقليم بحر الغزال .

إنَ أهمية هذه الشخصية التاريخية ودورها الكبير في مقاومة الاستعمار الأوروبي ومساهمته في بناء دولة حقيقية على أسس وتعاليم الشريعة الإسلامية، كان من بين أهم أسباب اختيارنا له كموضوع لدراستنا. كما دفعتنا إلى هذه الدراسة أسباب ودوافع علمية وأكاديمية بحتة، منها ندرة الدراسات بخصوص هذه الشخصية، وهو ما جعل الكثير من المسلمين و العرب يجهلون عنها الكثير،حيث كنا نحن كطلبة مسلمين عرب و أفارقة أول ضحايا هذا التهميش، الذي تعرضت له هذه الشخصية فلم نكن نعرف عنه شيئا قبل الاطلاع عليه من خلال خوضنا في هذه الدراسة.

و انطلاقا من منهج البحث الأكاديمي كان علينا أن نختار للموضوع إشكالية تكون بمثابة حجر الزاوية التي تنطلق منها دراستنا، لهذا فلقد كانت إشكالية البحث الرئيسية تتمثل في التساؤل التالي:من هو رابح فضل الله وما هي طبيعة حركته ؟

وفي غضون البحث حاولنا التطرق إلى بعض المسائل الموضوعية لحركة رابح فضل الله مثل مناقشة تلك التبريرات التي ساقها المؤرخون الأوربيون للحكم على حركته.

وللتحكم في تفاصيل البحث ارتأينا أن نطرح جملة من التساؤلات الفرعية على منوال من هو رابح بن فضل الله ؟ وماهي أهم العوامل التي دفعته للذهاب إلى بحيرة تشاد؟ وكيف ساهمت حركته في بناء دولته؟ وماهي أهم الإنجازات التي قام بها في بحيرة تشاد؟

لقد اعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي، القائم على الاطلاع على النصوص التاريخية وفهمها وتحليلها ونقدها مع محاولة الاستعانة ببعض الدراسات الحديثة لدعم وجهة نظرنا في الموضوع. وكل ذلك مع تحري الأمانة العلمية وتحقيق المعلومات و توثيقها.

لقد قسمنا خطة البحث كالتالي: بداية بمقدمة وثلاثة فصول وخاتمة تتضمن أهم النتائج. ففي الفصل الأول الموسوم بـ «**أوضاع بحيرة تشاد قبيل رابح بن فضل الله**»، حيث تطرقنا فيه إلى الأوضاع الجغرافية لمنطقة بحيرة تشاد الطبيعية والبشرية، بالإضافة إلى الأوضاع السياسية التي سادت المنطقة بعد نهاية مملكة كانم وحركة محمد الأمين الكانمي.

أمَا الفصل الثاني الذي كان تحت عنوان« **شخصية رابح بن فضل الله**» فلقد تناولنا فيه تعريف هذه الشخصية من حيث المولد و النشأةوسيرته و الظروف التي دفعته للتوجه نحو الغرب.

وفي الفصل الثالث الذي أوسمناه بـ « **إنجازات رابح بن فضل الله في بحيرة تشاد**» فلقد تناولنا من خلاله تكوين إمبراطورية رابح فضل الله وتوسعه نحو جنوب دارفور ومملكة وداي واستيلائه على مملكة باغرمي وبرنو. كما تطرقنا في هذا الفصل إلى صراع رابح فضل الله مع القوى الأوروبية سواء البريطانية أو الفرنسية ثم نهايته.

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على مصدرين أساسيينو هما عبارة تقارير الأول صادر عن للضابط الفرنسي غاستون دوجاريك (Gaston Dujaric) تم تحويله إلى كتابات تم طبعه في مطبعة اندريه بباريس سنة 1902، فكان عنوان لكتاب الأول حياة السلطان رابح وفرنسيو

تشاد (La vie du soltan Rabah les francais autchad) الذي ضم معلومات دقيقة وغزيرة عن حياة رابح فضل الله وبداياته الأولى إلى غاية وصوله إلى دارفور وبورنو وبداية حركته وأهم انجازاته وتأسيس إمبراطوريته.

أما الكتاب الثاني فكان عبارة عن تقرير للضابط الفرنسي إيميل جنتيل (Emile Gentil)، وتتم إصداره في كتاب بعنوان نهاية إمبراطورية رابح(La chute de l'empire de Rabah)، وتم طبعه من طرف مكتبة هاشات(Libraiarie Hachette) بباريس سنة 1902، وتضمن هذا المصدر الظروف التي انهارت فيها إمبراطوريةرابح فصل الله و أهم معاركه مع البريطانيين و الفرنسيين.

وتكمن أهمية هذين المصدرين كأنهما صدرا من طرف شخصيات عسكرية وضباط شاركوا في أحداث الدراسة، وصدرا في تاريخ معاصر لأحداث الدراسة.

كما كان لزاما علينا الاعتماد على بعض الدراسات السابقة، التي كتبت حول الموضوع رغم كونها لم تكن دراسات متخصصة في الموضوع، وكتبت عنه في سياق عام خاص بتاريخ السودان المصري أو بحيرة تشاد. ومن هذه الدراسات نذكر:

المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقياللمؤرخ عبد الله عبد الرزاق إبراهيم وكذا جهاد المماليك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الأوروبي(1850م-1914م) التي أعدتها المؤرخة المصرية إلهام محمد علي ذهني.

كما أفادنا أيضا كتاب محمد سعيد قشاط، الذي يعد محاولة لترجمة بعض شخصيات الصحراء الإفريقية و التي عنونها بـ أعلام من الصحراء. بالإضافة إلى دراسة أعدها بابكر الجاك بابكر حول الزبير باشا و هي بعنوان« رابح الزبير من حلفاية الملوك إلى مملكة

دكوة» و هي دراسة مهمة جدا لكنها غير مطبوعة ورقيا فاعتمدنا فيه على النسخة الالكترونية.

ولقد اعترضتنابعض العراقيل التي و أن خففت من وتيرة بحثنا إلا أنها لم تثننا عن إنهائه بالوجه الذي هو معروض أمام لجنتكم الموقرة، نذكر منها غياب المادة العلمية الخاصة بهذا الموضوع في المكتبة الجامعية، ورغم توفر بعض المكتبات في العاصمة على بعض من الدراسات العامة حول الموضوع إلا أننا لم نتمكن من السفر لبعد المسافة وظروفنا الاجتماعية و الأسرية.

يضاف إلى كل ذلك مشكل اللغة الأجنبية الذي نتحمل من خلاله مسؤوليتنا في عدم إتقانها كونها ضرورة علمية ملحة، و هو ما أعاق استفادتنا الجيدة من المصادر التي بحوزتنا.

وفي الأخير نرجو أنَ نكون قد وفقنا في عملنا هذا، وإن تكون محاولتنا البسيطة هذه في مجال البحثقد منحت لنا الفر صة في الولوج إلى بابالبحث العلمي من بابه البسيط، وإن تكن قد فتحنا نقاشا حول موضوع مقاومة رابح فضل الله حتى تتبع عملنا هذا دراسات أخرى أكثر عمقا،و لا يفوتنا إلا أن ننوه بالدعم والمساندة المقدمة لنا من طرف الأستاذ المشرف الدكتور نور الدين شعباني الذي قام بتوجيهنا ودعمنا وإرشادنا فنحن شاكرون وممتنون لمجهوداته المبذولة، كما لا ننسى توجيه الشكر الموصول لأعضاء لجنة المناقشة التي تكبدت مشاق قراءة عملنا وتقييمه وتطعيمه بتصويباتهم وملاحظاتهم القيمة التي ستضيف لبحثنا قيمة ملموسة ونستفيد منها في مستقبل أبحاثنا.

وختاما نسأل الله سبحانه وتعالى أنَ يتقبل منا هذا الجهد المتواضع ليسدد الخطى وهو نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله أولا وأخيرا .

الفصل الأول

أوضاع تشاد قبيل رابح بن فضل الله .

أولا: الأوضاع الجغرافية :

1 التضاريس و المناخ

2. السكان

ثانيا: الأوضاع السياسية :

1. نهاية مملكة الكانم

2. حركة محمد الأمين الكانمي

أولا: الأوضاع الجغرافية :

تتميز بحيرة تشاد بموقعها الجغرافي الجيد وهي ملتقى طرق القوافل التجارية وبفضل هذا الموقع استقطبت العديد من الشعوب والتي أصبحت فيما بعد أمة واحدة تنتمي إلى نفس الحضارة ، ولقد نشأت حول بحيرة تشاد عدة ممالك منها الكانم.

1. التضاريس والمناخ:

اصطلح المؤرخون على تسمية المنطقة التي تقع حول بحيرة تشاد باسم السودان الأوسط، حيث عرفت بأنها ملتقى طرق القوافل المتجهة نحو إفريقيا الاستوائية، وهلذما جعلها مركز ا تجاريا نشيطا فضلاً عن خصوبتها التي جذبت إليها كثيرا من عناصر الحضارة[1].

وتمتد بحيرة تشاد حول الشمال الشرقي من منطقة بوركو[2] وسفوح كتلة تيبسي، وتشمل منخفض بودلي الذي لا يزال يتصل مع بحيرة تشاد بواسطة بحر الغزال[3]، ويرتفع عن سطح البحيرة بـ 270م[4].

ويظهر أن هذه البحيرة كانت في الأصل بحيرة واحدةولكن زحف الر َمال من الشمال الشرقي طمر أجزاء من تلك البحيرة وفصلها عن بعضها، فتحولت إلى مجموعة بحيرات تميز ت بارتفاع متفاوت،و عمقها يتراوح بين المترين و4,5 متر[5].

---

1. محمد زين نور محمد، **منطقة حوض بحيرة تشاد ودورها في نشر الثقافة الإسلامية و العربية** ، قراءات أفريقية، العدد 17، المنتدى الإسلامي، السعودية، 2013م، ص12.

2. بوركو: تعني حجر أو جبل أي إنسان الحجر وهي نسبة إلى جبال المنطقة.

3. بحر الغزال: أو نهر الغزال موجود في جنوب السودان والمنطقة المسماة ببحر الغزال إنما سميت تبعا لاسم النهر، بحر الغزال هو الرافد الرئيسي للنيل من الجهة الغربية.

4. محمود شاكر، **تشاد**، مؤسسة الرسالة، المملكة العربية السعودية، طبعة أولى، 1972، ص ص 20، 21.

5. موسى عبد الرحيم عربسى، **العوامل الفكرية و انتشار الإسلام في تشاد (دراسة في فلسفة الحضارة الإسلامية)**، رسالة ماجستر، الجامعة اللبنانية كلية الأدب و العلوم الإنسانية قسم فلسفة، غير منشورة، ص 32.

*. أنظر أيضا الملحق رقم 01 ص63 الذي يوضح موقع بحيرة تشاد.

هي عبارة عن حوض ضحل يشغل الجزء الأوسط تقريبا من غربي دولة تشاد الحالية، وتتكون أساسا من الطين وتتباين مساحة البحيرة من اتساعو انكماش بسبب كمية المياه التي يجلبها نهر تشاد مما يجعل منسوبها غير مرتفع بالدرجة الكافية[1]، ونتيجة شدة الحرارة فإن هذه البحيرة تتعرض للجفاف والانكماش وبالتالي تتقلص مساحتها، أما في حالة الفيضانات فتتسع نسبيا وقد تصل مساحتها إلى15ألف كلم^2، بحيث أنه في الأحوال العادية تكون أقل بكثير من ذلك، فمثلا في صيف عام 1914م كانت مساحتها لا تزيد عن 10ألاف كلم^2 بينما وصلت إلى 18 ألف كلم^2 عام 1916 [2]، ومنهم من قال أن مساحتها تبلغ24 ألف كيلومتر مربع[3].

2. السكان:

استوعبت منطقة بحيرة تشاد العديد من الشعوب و أصبحت مع مرور الوقت تمثل أمة واحدة تنتمي إلى نفس الحضارة و نفس التراث الإنساني[4].

و أهم المجموعات البشرية التي سكنت المنطقة نذكر مايلي:

1 ـ الزغاوة:

يعتبر هذا الشعب من أقدم الشعوب التي وصلت إلى تشاد ونجحت بحكم تكاثرهم في المنطقة في تأسيس مملكة واسعة الأطراف امتدت فيما بعد بين تشاد غرباً و النوبة شرقاً،

---

1. موسى عبد الرحيم عربسى، المرجع السابق، ص 32.

2. محمود شاكر، المرجع السابق، ص20.

3. موسى عبد الرحيم عربسى، نفسه .

4. عطية مخزوم الفيتوري، **دراسة في تاريخ شرقي أفريقية جنوب الصحراء (مرحلة انتشار الإسلام)**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1998م، ص219.

ويعود أصل الزغاوة البعيد إلى أحد فروع قبيلة يسميها ابن خلدون زغاوة ويطلق على الزغاوة أحيانا اسم زواوة، و في مصادر أخرى زوارة[1].

كما نجدها في مواقع أخرى باسم زوا ة،و هي كلها تحريفات للاسم الأصلي زغاوة. وقد هاجرت زغاوة من منطقتها على ساحل البحر المتوسط إلى بلاد الجريد جنوبي تونس ثم إلى طرابلس ومنها أخذوا طريق فزان وكوار إلىأنَ وصلوا إلى إقليم تشاد ثم اتجهوا شرقاً، فاستقروا في إقليم دارفور[2] وأعطوا اسمهم لجزء كبير منه[3].

ذكر الجغرافيون العرب قصة شعب الزغاوة عندما تحدثوا عن السودان الأوسط وبحيرة تشاد[4]، ويرون أن زغاوة سيطروا على أرض كانم، وهم جماعة واسعة الانتشار شأنهم شأن التوبو[5] في الوقت الحاضر[6]، وهم من أوائل سكان كانم، ويبدوا أن الزغاوة لم يكونوا شعباً متجانساً، حيث اختلطت بهم جماعة من الحوضيين(نسبة إلى منطقة الحوض) متمثلة في طبقاتأرستقراطية سيطر ت على كانم، التي ينتمي إليها ملوك كانم و الملوك الحوضين على

---

1. الفيتوري، المرجع السابق، ص ص 221، 222.

2. **إقليم الدارفور**: يقع في غرب السودان وتبلغ مساحته 510.000كلم^2، أي ما يعادل 20% من إجمالي مساحة السودان، يحده شمالا الصحراء الليبية وغربا جمهورية التشاد وجمهورية إفريقيا الوسطىوا إلى الجنوب منه يو جد بحر العرب ومديرية بحر الغزال، وشرقا إقليم كردفان وتضم خليطا من السكان من الأفارقة والعرب (أنظر: مستاك يحي محمد لمين، **قضية دارفور وأبعادها الإقليمية والدولية دراسة من 2003- 2015م** ، مذكرة لنيل شهادة ماجستر في العلوم السياسية، جامعة تيزي وزو، السنة الجامعية، 2013م، غير منشورة).

3. الفيتوري، نفسه، ص 222.

4. نفسه .

5. **التوبو**: هم رعاة إبل في الشمال ويتحملون العطش ، ويدينون بالإسلام.

6. الفاسي، « **منطقة تشاد عند مفترق الطرق » من كتاب تاريخ إفريقيا العام**، م 3، ط1، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، 1988، ص ص 484- 491.

السواء. وكان الزغاوة حسب اليعقوبي يعظمون ملكهم ويعبدونه من دون الله ويتوهمون أنهم لا يأكل الطعام[1] .

وتنقسم الزغاوة من حيث اللغة إلى أربعة مجموعات:

المجموعة الأولى: وهم ينطقون جميع الحروف العربية بما فيها حرف الضاد، حيث أن لغة الأدب الغنائي عندهم هي اللغة العربية.

المجموعة الثانية: و هي جماعات كوبي، وهم زغاوة الحدود ويتكلمون لغة مغايرة، وهي من أصعب لهجات الزغاوة وأقربها لأصول لغتهم القديمة لأنهم الأقل تأثراً بالقبائل الأُخرى.

المجموعة الثالثة: جماعات البديان:ولهجتهم وسط بين المجمو عة الأُولى والمجموعة الثانية.

المجموعة الرابعة: جماعات بابرا : مع أنها فصيل من الزغاوة، إلاَ أن لغتها اتخذت منحى مغاير ا عنها، وتأثرت هذه الفئة بالقبائل المجاورة الأُخرى، فعرفوا الزغاوة العرب، وزغاوة ميما، وزغاوة فور لاختلاطهم بالقبائل الفور[2].

2. شعب الساو:

إنَ المعلومات حول هذا الشعب و أصوله قليلة جدا، فالبعض يقول أنه أحد فروع الفولاني و آخرون ذكروا أنَهم جاؤوا من فزان، وتفسر كلمة ساو بمعنى « عماليق »، ولذلك حاول بعض الكتاب أن يرجع أصول هذا الشعب إلي سلالة العمالقة الهكسوس على أساس التشابه في الصفات الفيزيولوجية[3]، ويرجحون أنها كانت تتكلم لغات تشادية[1].

---

1. اليعقوبي، **كتاب البلدان**، طبعة بريل، باريس، 1860، ص149.

2. عبد الله عبد الماجد إبراهيم، **الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب إفريقيا واستوطنت سودان و وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية**، ط1، دار الحاوي لطباعة والنشر والتوزيع، 1998م، ص ص 86- 90.

3. فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، **المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة**، دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة أولى، 2007، ص 130.

لقد ذكرهم جوان جوزيف بلقب سو" SO "وقال بأنهم وفدوا إلى المناطق الجنوبية الغربية لبحيرة تشاد في أوائل القرن الثامن للميلاد،وكانو ا طوال الأجسام بشكل يلفت النظر[2].

لذلك فقد كان من السهل عليهم أن يهزموا الرجال العاديينالذين كانو ا يستوطنون تلك المناطق قبلهم، ثم استمر زحفهم حتى الشواطئ الشرقية لبحيرة تشاد أين استقروا هناك[3].

ولقد وضع البعض احتمال أن يكون أصل هذا الشعب نيلي أي نسبة إلى نهر النيل لامتيازهم بطول القامة كغيرهم من سكان وادي النيل، وحتى القرن التاسع عشر للميلاد لم تكن مملكة كانم قد ظهرت للوجود وإنما كان شعب "ساو" يعيش في هذه المنطقة في حياة شبه قبلية وكان لهم مجتمع متقدم واعترف بمكانة المرأة وحضارتها، ولقد أجادوا صناعة الفخاروأتقنو ا عمل التماثيل البرونزية ذات الصلة الوثيقة بالحضارة المصرية، كما أشتهر شعب ساو أيضا بالصيد وبناء المدن المحصنة بأسوار[4]، وتركوا في تلك المنطقة أثارا مازال بعضها باقياً حتى الآن، ومازال أغلبها دفيناً لم تكشف عنه الحفريات بعد[5].

ولقد تم العثور على بقايا البيوت التي كانت تعيش فيها تلك القبائل، حيث تبين أنهم كانوا يستعملون " الطوب الأحمر" في البناءوكانوا يصنعون أسنة رماحهم من الخزف الصلب المشطوف، وتركوا تماثيل مصنوعة من الخزف أو البرونز على شكل صنم الإله المصري القديم " أمون رع "، ويعتقد أن " الساو" كانوا حلقة الوصل ببعض الحضارات الإفريقية التي في شرق القارة وغربها و في الحدود الجنوبية[6].

---

1. الفاسي، المرجع السابق، ص 494.

4. جوان جوزيف،**الإسلام في ممالك وإمبراطوريات أفريقا السوداء**، ترجمة مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، بيروت، طبعة أولى، 1984، ص 89.

3. جوان جوزيف، نفسه.

4. محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كريدية، المرجع السابق، ص ص130، 131.

5. جوان جوزيف، نفسه.

6. نفسه، ص 90.

ولقد أنشأ الساو مملكة جديدة هي مملكة كانم–بورنو التي ما لبثت أن غزت باقي القبائل المجاورة وضمتها إلى إمبراطوريتهم، وهذه الجماعة هي نتاج التزاوج من أقوام وثقافات "الماغومي" المهاجرين من كانم والناطقين بلغة منطقة التشاد في بورنو[1].

3.قبائل الكانوري" Kanuri ":

وهم من الزنوج ولكنهم اختلطوا بالعرب ودخل قسم منهم للإسلام، ويقومون بالزراعة في منطقة الباغيرمي[2] كما أنهم يعملون بالتجارة وعندهم خبرة ومهارة فيها[3]، وكانت ثقافة الكانوري هي التي شكلت أساس ثقافة بورنو[4].

وكانت غالبية الكانوري تعيش في قرى داخل مساحات محصنة بسور تضم كل منها عدة أكواخ مستديرة ذات هياكل خشبية أو جدران من الطين وكانت قراهم على شكل حرف (U). وكان المجتمع الكانوري يتميز بالطبقية إذ كان ينقسم عرقياً إلى طبقتين هما "كونتراورا" (الطبقة الحاكمة أو النبلاء) و"تلاءا" (العوام) وفي داخل كل من هاتين الطبقتين عدة أقسام وكانت الاختلافاتفي الحديث والملبس و أثاث المنزل والطراز العمراني [5].

---

1. أوغوث، **حضارة الكانوري المادية والاجتماعية من كتاب تاريخ أفريقيا العام**، م 5، ط1، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، 1997م، ص 561.

2. منطقة الباغيرمي: تقع إلى الجنوب الشرقي من مملكة كانم في جنوب تشاد الحالية تأسست في بداية القرن السادس عشر على أيدي مجموعة من المهاجرين العرب الذين قدموا من اليمن تحت قيادة بيرني بيسي المؤسس الأول للمملكة (1522–1532م)، وهو الذي بنى مدينة ماسينا واتخذها عاصمة له، وبفضله أسلمت مجموعات كثيرة من السكان الأصليين .

3. محمود شاكر، المرجع السابق، ص ص 90– 93.

4. أوغوث، نفسه.

5. نفسه، ص 564.

4. قبائل البولالا" Bulala ":

كانت هذه القبائلتعيش في مناطق شرق بحيرة تشاد وقد تسببت قبائل البو لالا في كوارث جمَة ألحقتها بمملكة كانم[1]، وهم من الرعاة المتمركزة في بحيرة فيتري[2].

5. قبائل بيلي: وتسكن في الشمال الشرقي في منطقة عنيدي الجبلية، وتدينت بالإسلام الذي أخذته بفضل السنوسيين.

6. قبائل تيدا: ومنازلها في الشمال في بلاد تبستي وتدين أيضاً بالإسلام .

7. قبائل البودوما:تعيش في الجهات الشمالية و الوسطى من البحيرة وتعتنق هذه الجماعات الإسلام أيضاً.

8. التوبو: هم رعاة إبل في الشمال ويتحملون العطش، ويدينون بالإسلام ويصلون إلى لبنان في ترحالهم.

9. شوا: وتعيش في وسط بلاد تشاد وجنوب شرق البحيرة ويمتهنون تربية الحيوانات من أغنام و أبقار، وقد تحضرً بعضهم وهم مسلمون[3].

10. كوتوكو: وهم مزيج من الزنوج والعرب، وكانت الصفات الزنجية هي الغالبة عليهم، والظاهرة في ملامحهم، وقد اعتنقوا الإسلام، ويمتهنون حالياً صيد السمك وتجارته ويصنعون سفناً كبيرة لذلك، كما أن نسائهم تقوم بتجفيف السمك على شواطئ الأنهار، ويقومون بالزراعة على التلال وفي السهول ويزرعون الذرة والرز والقطن[4].

---

1. جوان جوزيف، المرجع السابق، ص 94.
2. نور الدين شعباني، **محاضرات في تاريخ السودان الغربي**، ب ط، دار الجزائر، الجزائر، 2015م، ص 85.
3. محمود شاكر، المرجع السابق، ص ص 53، 54.
4. نفسه، ص54.

11. الزنوج:

لم يختلط معظم الزنوج مع غيرهم، لهذا احتفظوا بالصفات الزنجية نتيجةً للعزلة التي فرضوها على أنفسهم في الجبال، وقد امتهنوا الزراعة على المصاطب الجبلية، كما مارسوا الزراعة في السهول معتمدين على الري، وقد كانوا يجتمعون في بيوت ذات أشكال أسطوانية، كما أقاموا مخازن للحبوب،و هي بنايات طينية بشكل عام. ولقد وصلت هجرات الزنوج إلى غايةنيجيريا و السودان الشرقي[1] .

وهناك مناطق اختلط فيها البدو مع الحضر كما هو الحال في إقليم واداي[2]، مثلما اختلط العرب الرحل مع البقارة في وداي و أيضا كانم[3].

12.قبائل الكانمبو: وهم خليط من السُو والبربر، يعتقد أنهم اكتسبوا هذا الاسم من إقامتهم في منطقة كانم[4]، حيث وجدوا في المنطقة منذ القرن 7هـ/13م[5].

ثانيا: الأوضاع السياسية:

1- نهاية مملكة الكانم:

تعد الكانم أهم الممالك التي نشأت على ضفاف بحيرة تشاد، إذ أن المصادر اختلفت حول الحدود الحقيقية لمملكة الكانم(9هـ/13م)، حيث أن دولافوس يذكر أنه بشرق بحيرة

---

1. محمود شاكر، المرجع السابق.

2. إقليم واداي: تقع شرقي تشاد أسسها قوم من بني هلال يطلق عليهم اسم التنجور بعد أن هاجروا من تونس إلى طرابلس ثم إلى فزان، وتوجهوا نحو بحيرة تشاد .

3. محمود شاكر، نفسه، ص 54.

4. عمار مرضي علاوي الجميلي، **المؤثرات الإسلامية في مملكة برنو الإسلامية**، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب قسم تاريخ، د ت، ص 316.

5. محمود شاكر، نفسه.

تشاد عاش شعب تربطه بشعوب أخرى متفرقة على أرض صحراوية رابطة لغة واحدة هذا الشعب يدعى الكانم[1].

ويذكرها البكري بقوله:« **وبين زويلة و بلد كانم أربعون مرحلة وهم وراء صحراء بلاد زويلة لا يكاد أحد يصل إليهم وهم سودان مشركون ويزعمون أن هناك قوم من بني أمية صاروا إليها عند محنتهم بالعباسين وهم على العرب و أحواله** »[2].

في حين يحدد ياقوت الحموي حدودها الشرقية بمدينة دالا–أوز الا فيقول بأنَ آخرها بلدة كاكا بينهما ثلاثة شهور[3] .

أما الدراسات الحديثة فتذهب إلى أنها كانت تسيطر على المنطقة التي تبدأ من تيبستي الحالية ومنطقة كانم الواقعة شمال جمهورية التشاد وتشمل قسماً من جمهورية نيجيريا الحالية، أما تاريخ تأسيس هذه المملكة فيبقى غامضا بسبب اختلاف الآراء، في حين أن الروايات الشفوية الشعبية المحلية المعروفة بالجيلي فإنها تضع سنة 184هـ/800م تاريخ نشأة المملكة[4].

يبدوا أن موقع الكانم قد ضمن لها مصدراً من مصادر الثراء و هذا لسيطرتها على الطرق التجارية للقوافل المتجهة شمالاً أو شرقاً، وهو ما جعلها دولة قوية ومركزية في المنطقة[5].

1.Delafosse (Maurice), **les noirs de le l'afrique, editionpayot**,paris, 1941, p100.

2. البكري(أبو عبيد)، **المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص 11.

3. ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، مطبعة السعادة، ط1، م7، ص 10.

4. نور الدين شعباني، **علاقات السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرنين الخامس والتاسع هجريين**، رسالة ماجستر في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2005م/2006م، غير منشورة، ص 25.

5. باري وكريدية، المرجع السابق، ص 129.

ولكن كما هي الأحوال دائما تتغير ولا تستمر فبدأت الدولة تواجه الكثير من المتاعب منها انتشار الفقر والمجاعة [1]،و اندلاع الثورات التي كان يقوم بها رعايا الملك الوثنيون، وتنازع الأبناء واستقلالهم في الولايات مما أدى إلى تدخل قبائل البلالة[2] في الأراضي الواقعة جنوبي كانم، كما واجه سلاطين كانم في أوائل القرن الرابع عشر صراعات داخلية شديدة بين الشعوب، ونتيجة للحروب التي استمرت دون انقطاع طول النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وأخذت أحوالها في التدهور والانحطاط خاصة استيلاء البلالة على مدينة جيمي[3].

وفي أواخر القرن الرابع عشرللميلاد استمرت صراعات الأسر المالكة حول الحكم وهذا سبب آخر من أسباب انحطاطهافي حين أنَ بعض المايات حافظوا على انجازاتهم وحققوا انتصارات، لكن نشوب الحروب والاعتداءات الخارجية ووجود أمراء ضعاف[4].

---

1. عطية مخزوم الفيتوري، المرجع السابق، ص224.

2. **قبائل البلالة:** لقد كانوا وثنيين حتى القرن 12م عندما أسلموا عقب إسلام بني عمومتهم الذين يتمثلون في الأسرة السيفيةالماغومية الحاكمة في سلطنة كانم في القرن الحادي عشر للميلاد.(أنظر.. رجب محمد عبد الحليم وآخرون، الموسوعة الأفريقية لمحات من تاريخ القارة الأفريقية، م1، منتدى سور الأزبكية، القاهرة، 1997م، ص218).

3. عطية مخزوم الفيتوري، نفسه.

4.Y.Urvoy, **histoire de l'empire du bornou**,librairie larose, paris ,1949, p85.

وأمام تدهور الأوضاع تعرضت البلاد إلى غزو الفلاتة[1]، بزعامة محمد عثمان دان فوديو[2]، فاستدعى أهل كانم محمد الأمين الكانمي حيث نظم جيشا من الكانميين وتصدى لتوغل دان فوديو نحو بحيرة تشاد وانتصر عليهم[3].

2- حركة محمد الأمين الكانمي:

في خضم التطورات الخطيرة التي عرفتها مملكة كانم- بورنو ظهر أحد العلماء الشيوخ العلماء البارزين وهو شيخ محمد الأمين الكانمي[4]، وهو من أب عربي وأم كانمية[5]، من مواليد فزان في ليبيا ومن العلماء الذين عملوا على نشر الإسلام وثقافته وتثبيت قواعده

1.الفلاتة: اختلفت الروايات منهم من يقول أن التورو(قدموا من سوريا عبر سيناء) هم أخوالهم حيث أم الفلان هي بنت ملك التورو وهم من أصول سامية بيضاء فعبروا إلى إفريقيا ثم انتشروا في النيجر ونيجيريا والتشاد(أنظر إبراهيم عبد الماجد، **الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب أفريقيا واستوطنت السودان وادي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية**، دار الحاوي، د م النشر، 1998م، ط1).

2.عثمان دان فوديو: هو عثمان بن صالح الذي جاء من بلاد الفوتاتور أما لقبه فهو الشيخ، ولد بقرية مارت التابعة لإمارة جوبير ولاية سوكوتو بشمال نيجيريا الحالية سنة 1754م سلك طريقة القادريين وكان عالما سخيا فاضلا تقيا.وتعتبر حركة عثمان دان فوديو من الحركات الإصلاحية الرائدة غي غرب إفريقيا، وكانت دعوته خالصة لتنقية الدين الإسلامي من العادات الوثنية(أنظر: نسمة روابحي ونعيمة حمراراس، **حركة عثمان دان فوديو الجهادية وتنظيمات دولته خلال القرن التاسع عشر(19م) ميلادي**، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة، غير منشورة، 2014-2015م،ص10).

3.Y.Unvoy, Op.Cit, p85.

4. باري وكريدية، المرجع السابق، ص139.

5. محمود شاكر، المرجع السابق، ص39.

وتطهيره من الشوائب الوثنية[1]، حارب البدع والتقاليد الوثنية العالقة بالإسلام الإفريقي، كان يحث على الجهاد[2].

لقد نسب نفسه إلى كانم لتوثيق الاتصال بها فعرف بالكانمي، وكان هذا الشيخ عالما واسع المعرفة له جاه عريض في مجال العلوم العقلية والنقلية[3]، ولقد نشأ محمد الأمين الكانمي في منطقة كانم قرب بحيرة تشاد، وتلقى تعليمه الأول على يد علماء بلده وبعد أن اشتد عوده رحل إلى مصر لطلب العلم، فبقي فيها خمس سنوات وأثناء وجوده بها كان يحضر باستمرار الحلقات الدراسية في الأزهر، ومن مصر ذهب إلى مدينة القدس الشريف فأقام بها حولين، وهناك أيضا جلس إلى أكابر العلماء والفقهاء وأخذ عنهم، ثم سافر إلى مكة المكرمة وأقام بها ثلاث سنوات، فأتم مناسك الحج والعمرة وفي طريق العودة إلى بلاده زار طرابلس والقيروان وتلمسان ثم فاس حيث أقام بها سنتين أخريين ومنها انتقل إلى طمبكتو وبعد العودة من طمبكتو مباشرة إلى بلاده، عمل محمد الأمين الكانمي إلى تثقيف الناس وإرشادهم فتعلق به الكثيرون وذاع صيته في بلاد كانم- بورنو، وفي هذه الأثناء هاجم أتباع عثمان دان فوديو منطقة بورنو واحتلوا ما استطاعوا منها كامتداد لحركتهم الجهادية[4].

تمكن محمد الأمين الكانمي في عام 1811م من وقف هذا الزحف معتمدا على قوة تم تشكيلها من القبائل العربية[5]، ومن قبائل الكانمبو[6].

---

1. علي يعقوب، **الثقافة الإسلامية في مملكة بورنو الإسلامية**، مجلة قراءات أفريقية، العدد الخامس، جوان، 2010م، ص25.

2. شعباني نورالدين، المرجع السابق، ص90 .

3. باري وكريدية، المرجع السابق، ص39.

2. زبادية عبد القادر، **دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين** ديو ان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دون تاريخ، ص ص 102، 103.

5. الفيتوري، المرجع السابق، ص 225.

6. علي يعقوب، نفسه، ص 24.

وكان ذلك ضد الفاتحين التابعين لعثمان دان فوديو فوقعن بين الطرفين معارك طّاحنة، ولقد انتصر أتباع الكانمي محمد الأمين الكانمي في النّهاية، وطردوا أتباع عثمان دان فوديو من بورنو[1]، وبنى لها عاصمة في كوكا[2].

ثم أخذ الكانمي في تنظيم شؤون الدولة حيث قام بتحصينها وشيّد العديد من المباني ودور العلم، كما شّهدت كانم في هذه المرحلة نشاطًا استكشافيا أوروبيًا واسعًا، وكان من الممكن أنَ تستمر قوة الدَولة وتطورها لولا تعرضها في عام 1893م لأخطر هجوم خارجي عرفته منذ تأسيسها، وهو غزو الأمير رابح بن فضل الله السوداني بها، حيث تمكن بفضل جودة أسلحته وتنظيم جيشه من الاستيلاء على الإمارات الصغير ة التابعة للمملكة بهذا الاستيلاء تمكن من السيطرة على كبيرة من الأرض تمتد من دارفور شرقا، إلى غرب بحيرة تشاد، وهكذا تم القضاء على مملكة كانم التي عاشت مايقارب الألف عام[3] .

ونستنتج في الأخير أنَ بحيرة تشاد استقطبت العديد من الشعوب والتي كونت ممالك وكلن أشهرها كانم– بورنو والتي ازدهرت وتطورت تحت يد محمد الأمين الكانمي ثم تعرضت لأخطر هجوم وهو هجوم رابح فضل الله السوداني.

---

1. برنو: هي إمارة صغير وجدت غرب بحيرة تشاد ، وتمتاز بموقع جغرافي مميز، وهي من بلدان السودان الأوسط (وسط إفريقيا) إذ يحدها من الشمال الصحراء الكبرى وجنوبا الأراضي المجهولة أو ما يسمى بالهمج، وغربا بلاد الهوسا وكذلك قبائل بنبرا، وعاصمتها كوكا أو كوكو قرب بحيرة تشاد وشرقا بلاد التكرور.(أنظر عمار مرضي علاوي الجميلي، المرجع السابق، ص318).

2. عبد القادر زبادية، المرجع السابق.

3. الفيتوري، المرجع السابق، ص ص 227، 228.

الفصل الثاني

شخصية رابح فضل الله.

أولا: مولد رابح فضل الله و نشأته .

1.مولد رابح الزبير.

2. نشأة رابح فضل الله.

ثانيا: توجه رابح فضل الله نحو الغرب .

1. الظروف التي دفعت برابح فضل الله نحو الغرب

2.مسيرة رابح فضل الله نحو الغرب.

يبو أن دراسة حركة رابح فضل الله و نشاطه الجهادي في السودان الأوسط لا يمكن أنيكون بمعزل عن الظروف البيئية و الأسرية التي كونت أهم معالم شخصيته، ذلك أن الخصائص الاجتماعية و التربويةوالنفسية و حتى الأسرية وكذا مساره الدراسي والوظيفي و حتى السياسي لا يمكن ألا أن يعكس ويفسر لنا طبيعة حركته الجهادية.

لهذا فإننا ملزمون منهجيا و أكاديميا على تخصيص حيز من هذه الدراسة للجوانب الشخصية لهذا البطل الإفريقي، من خلال الوثائق المتوفرة لدينا.

أولا: مولد ونشأة رابح بن فضل الله.

1 – مولد رابح بن فضل الله :

اختلف المؤرخون في تحديد معالم شخصية رابح بن فضل الله المعروف باسم (رابح بن الزبير)[1] ولاسيما في المراحل المبكرة من حياته، كما اختلفوا حتى في تحديد اسمه ونسبه فمنهم من قال أنه رابح بن الزبير[2]، ومنهم من قال أنه رابح بن فضل الله السوداني[3]، ومنهم من قال أنه رباح وليس رابح [4]، إلا أن أغلب المصادر الأوروبية حتى الموسوعة البريطانية أطلقت عليه اسم رابح الزبير بالرغم من أنه لايمت بصلة الرحم إلى الزبير رحمت[5] الذي حمل اسمه[6]، ومنهم من قال أنه رابح الزبير بن فضل الله أو رابح فضل الله[7] أما اسمه الحقيقي فهو رابح بن فضل الله، ولد في قرية حلفاية الملوك[8] .

---

1 . لقب رابح بالزبير نسبة إلى الزبير رحمت الذي تبناه وأصبح قائد القوات.

2 . إلهام محمد علي ذهني، **جهاد المماليك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الأوروبي(1850-1914م)** ، دار المريخ للنشر، الرياض، 1977م، ص177.

3. سعيد الحنديري، **الحياة السياسية في تشاد منذ الإحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي**، مركز جهاد اللبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 1998م، ص 98.

4. WWW.1911ecyclopedia.RabahZobeir conculté le 01/03/2017.

5. الزبير باشا: ولد في 08 جويلية 1831م بجزيرة واوسي قرب الجيلي وهو ينتسب إلى قبيلة الجعليين من فرع الجميعات.

6. Encylopeedia Britannica (Rabih AZ_ Zubayr) WWW.aljazeeratalk.net conculté le 27/02/2017.

7. WWW.marefa.org< indx.php > conculté le 25/03/2017.

8 . **حلفاية الملوك**تقع حلفاية الملوك على بعد حوالي سبعة أميال شمال الخرطوم بحري، وكانت تعرف بالحلفاية، ولما انتقل إليها العبدلاب من قري في عام 1747م، واتخذوها عاصمة لهم أضيفت إلى ملوكهم فأصبح اسمها الشائع حلفاية الملوك.

في إحدى ضواحي الخرطوم[1]، لقد اختلف المؤرخون في سنة ولادته فمنهم من قال سنة 1846م [2]، ومنهم من قال 1845م [3]، ومنهم من قال 1945م[4]، وكان ابنا لأحد ملوك ملوك القبائل التي استوطنت بحر الغزال [5]؛ لكن اتفقت الروايات على أنَ ولادته في حلفاية حلفاية الملوك وليس بحر الغزال[6]، ولقد ولد في عائلة عربية في حلفاية الملوك إحدى ضواحي الخرطوم [7].

درس القرآن الكريم في كتاب قريته على يد الفقيه هاشم، ولما بلغ العشرين من عمره سافر إلى القاهرة والتحق بجيش الخديوي إسماعيل حيث تدرب على مهنة حمل السلاح، ولقد أصيب أثناء مناورة عسكرية في يده اليمنى فشوهت له هذه الحادثة الأصبع البنصر، ولما جاء الإصلاح العسكري تم إبعاده عن الجيش المصري فاضطر للعودة إلى بلاده عندما علم بوفاة والده قبل أنَ يغادر القاهرة [8]، ولقد كان رابح طويل القامة كبير الهمة،

---

1. محمد سعيد قشاط، **أعلام من الصحراء**، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، لبنان، 1997م، ص75.

2. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا**، عالم المعرفة، الكويت، 1989م، د ط، ص147.

3. بابكر الجاك بابكر، **رابح الزبير من حلفاية الملوك إلى مملكة دكوة** ، مقال منشور على الصحافة بتاريخ 09/21/ 2012Sahafawriter@ yahoo. com . ومتاح 2014/10/14م.يوم الإطلاع: 2017/03/10م.

4. محمد سعيد قشاط، المرجع السابق، ص75.

5. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، نفسه، ص147.

6. ظاهر محمد صكر الحسناوي، **رابح بن فضل الله السوداني قائد المقاومة الوطنية ومؤسس أول دولة عربية في تشاد(1846-1900م)**، مجلة الأستاذ، 212، بغداد، 2015م، ص351.

7. WWW.marefa.org< index.php >, Op.cit.

8. محمد سعيد قشاط، نفسه، ص78.

واسع الحيلة معقوق الأنف خفيف اللحية، قصير الشاربين، أسود اللون، وكان يجمع من وقار الكهول ورشاقة الشباب[1].

كان الزبير طموحا، حازما وذكيا لم يتوانى على الارتقاء على رفقائه وكسب ثقة رؤسائه[2].

2- نشأة رابح فضل الله :

عندما توفي فضل الله والد رابح الزبير صار هذا الأخير وحيدا، ولما لمع نجم الزبير باشا وتجمع حوله الأنصار والأعوان، انضم رابح فضل الله إليه فصار من أعوانه وارتبط اسمه به حتى النهاية[3]، ولقد ظهرت شجاعة رابح الزبير وقدراته الحربية منذ البداية، وذلك وذلك أثناء صراع الزبير باشا مع حملة البلالي، تلك الحملة التي أرسلتها حكومة مصر لاحتلال بعض المناطق في بحر الغزال[4]، واستغلال مناجم النحاس فيها لحساب الحكومة الحكومة المصرية، واضطرت هذه القوة إلى الالتحام مع قوات الزبير باشا صاحب السلطة الحقيقية في هذه المنطقة[5].

لقد رقى الزبير باشا رابح فضل الله إلى رتبة جندي بسبب نشاطه الواضح، بعد ذلك رقاه إلى رتبة ضابط فشارك في كل المعارك التي خاضها الزبير باشا في الفترة الممتدة من

---

1. عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص147.

2. Gaston Dujarric, **La vie du sultan Rabah, Les francais tchad, librairie africaine et coloniale**, j, André, Editeur, 1902, p

3. إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 184.

4. محمد سعيد قشاط، المرجع السابق، ص78.

5. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، نفسه، ص 148.

*.أنظر أيضا الملحق رقم 02 ص64 الذي يوضح ملامح وجهه كما جاء في إحدى الوثائق.

عام 1871م حتى عام 1874م، ولقد بدأ نجم رابح فضل الله يسطع لما شارك في الحرب ضد البلالي (Belali) ففي هذه الحرب وجد الزبير باشا الفرصة مواتية ليجرب قائد جيشه الجديد رابح فضل الله، وبالفعل تمكن هذا الأخير من البلاء بلاءاً حسناً في هذه المعركة المصيرية في تاريخه الحربي[1].

تقابل الجيشان عند منطقة « ديم جيجو » الواقعة بالقرب من مدينة « موفيو » حيث دارت بين الطرفين معركة سنة 1871م انتهت بهزيمة البلالي والقضاء عليه نهائيا وعاد رابح فضل الله منتصرا إلى مقر إقامته في ديم الزبير، حيث أجبر هذا الانتصار حكومة مصر على الاعتراف بوضع المنطقة تحت حكم الزبير باشا، ونشير هنا إلى رابح فضل الله قد استفاد كثيرا من انضمامه إلى الزبير باشا حيث كانت تلك الفترة بمثابة المدرسة الحقيقية لاكتساب الخبرة في الحروب[2].

كانت مواهب رابح الزبير الحربية هي التي دفعت بسيده إلى تسليمه القيادة العليا لجيشه، حيث هاجم رابح فضل الله ملكة وداي ومملكة برنو ومملكة الباغرميو غيرها من الممالك التشادية[3]، لكن سرعان ما بدأ حاكم السودان ويدعى إسماعيل أيوب يخطط لمؤامرة ضدرابح فضل الله و الزبير باشا، كما تم استدعاء الزبير باشا إلى القاهرة من طرف حكومة الخديوي بسبب شهرته الفائقة وذيوع صوته في المنطقة. ورغم معارضة رابح فضل الله لهذا الأمر إلا أنَ الزبير باشا رحل إلى القاهرة 1874م[4]، وعين ابنه سليمان حاكما لإقليم بحر الغزال خلفا له، لكن غوردون باشا عزله فثار هذا الأخير ضد السيد غوردون، فأرسل الفرنسيون إليه ضابطا إيطاليا يدعى روموالو جسي (Romolo jisse) للقبض عليه،

1. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 148.
2. نفسه.
3. محمد سعيد قشاط، المرجع السابق، ص 76.
4. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، نفسه .

فتصدى له سليمان مما جعل القائد الايطالي يلجئ إلى الخديعة، حيث أوهمه بإبرام اتفاقية معه ليقنعه بتسليم نفسه للحكومة الفرنسية. لكن رابح فضل الله طلب من سليمان عدم تسليم نفسه، إلا أن سليمان لم تبع نصائح رابح فضل الله وسلم نفسه وتم إعدامه مع جميع قادته الذين استسلموا معه لجسي 1879م[1].

لقد حاول الفرنسيون أنَ يوقعوا بمن بقي من جيش الزبير باشا في الفخ بغرض القضاء عليهم، إلا أن رابح فضل الله تمكن من الهروب من هذه المصيدة مع مجموعة من جنوده الزنوج المخلصين، وقرر شق طريقه نحو إقامة دولته، فبنى جيشا نظاميا خاصا به، وجهزه بأحدث الأسلحة الحربية التي حصل عليها من تجار الرقيق، ومن الأوروبيين ومن زعماء القبائل المجاورة[2].

بدأ رابح فضل الله في تكوين دولته الإسلامية وتوسيعها، فاتجه غربا وجمع القبائل المتفرقة حوله وركز جهوده في نهر شاري وبحيرة تشاد، فاحتل مناطق قبائل الملتوس والبواسي والسارسي وغيرها من القبائل، واستطاع تجميع القبائل الوثنية في كتلة سياسية واحدة وأخذ في نشر الإسلام بينها[3].

تقدم رابح فضل الله مع مجموعة من هؤلاء الزنوج نحو منطقة دارسولا وهي إحدى المناطق المستقلة بين دارفور ووداي، ثم استقر في دار رونقا (Runga) على نهر أكودبي (Aukudebee)، وعندئذ كتب إلى يوسف سلطان وداي يعرض عليه الحماية، لكن يوسف رفض وأرسل قوة ضد رابح الزبير لكنه انهزم أمامه[4]. أراد رابح الزبير بعد ذلكأنَ يصبح

1. محمد سعيد قشاط، المرجع السابق.
2. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 149.
3. إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 177.
4. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، نفسه.

مستقلا وأسس زريبة (Zeriba)[1] وتلقى المساعدة من قبل الأهالي المسلحين، وخص نفسه ببعض الأرض، ووجمع كميات كبيرة من العاج التي كان يستعملها في المقايضة مع السلاح، وجمع عددا كبيرا من العبيد الذين استبدلهم مع تجار البضائع مقابل أسلحة وعتاد حربي، حيث كانت هذه الفترة تتزامن مع ازدهار تجارة الرقيق [2].

لقد كان رابح الزبير من الجنود القدامى للزبير باشا لهذا نجح في فرض سلطته العسكرية على تراب واسع يمتد على بحر الغزال دار فرتيت جنوب وغرب دارفور، بينما اقتسم بعض التجار الآخرون المناطق المجاورة،و هذا ما يعكس درجة التفاهم التي كانت سائدة بين التجار رغم شدة المنافسة بينهم[3].

أرسلت فرنسا بعثة استكشافية إلى أفريقيا الوسطى بقيادة بول كرامبل (Paul crampl)، الذي نجح في اكتشاف الجزء الشمالي للكونغو الفرنسي، لكن إصابته بالحمى حملته على العودة إلى فرنسا، لكنه عاد للمرة الثانية سنة 1890م من أجل استكشاف المنطقة الواقعة بين الكونغو وبحيرة تشاد. ولقد التقت قوات كرامبل (Crampl) برابح فضل الله بالقرب من بلدة كوتي، ورغم أنَ المصادر لم تذكر حدوث اشتباكات بين القوتين إلا أنَ كرامبل (Crampl) قتل في هذه الأثناءو هو ما يجعل قضية مقتله تبقى غامضة[4].

يذكر أحد المؤرخين أن رابح فضل الله قد أخذ حوالي 300 مسدس من حملة كرامبل (Crampl)، كما بلغت معداته بعد مقتل كرامبل حوالي 130 مسدس، بالإضافة إلى 370 مسدسا من نوع آخر، و2500 بندقية مع عدد كبير من السيوف،بهذا فإنَ رابح فضل الله

---

1. زريبة: هي مكان توضع فيه الدواب والخيول، وكانت الزريبة تستعمل لوضع الخيول الخاصة بالحروب، أي أنها كانت تمثل حضيرة جيش الفرسان و هو أهم مظاهر القوة العسكرية، في السودان الشرقي.

2. Gaston Dujarric,Op.cit,p 2.

3. Ipid, p5.

4. عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص ص 148، 149.

فلقد استفاد كثيرا من مصوع كرامبل حيث ساعدت الأسلحة التي حصل عليها من هذه الحملة على تقوية جيشه، وبناء قواعد إمبراطوريته التي تسعى للوقوف في وجه التوسع الفرنسي في المنطقة[1].

ثانيا: توجه رابح بن فضل الله نحو الغرب :

1- الظروف التي دفعت برابح بن فضل الله للتوجه نحو الغرب :

هناك عدة ظروف دفعت برابح بن فضل إلى الهجرة نحو بحيرة تشاد و لعله من أهم هذه الظروف اهتمام الأوروبيين بالقارة الإفريقية كبير وهذا لبحثها عن المستعمرات التي تزودها بالمواد الأولية الضرورية لنهضتها الصناعية في أوربا وبالتالي تكون أسواقا لتصريف منتوجها.وحتى تتمكن من تحقيق هذه الأهداف عقدت الدول الأوروبية عدة مؤتمرات[2]، منها اتفاقية لندن في 04 أوت 1890مو التي جرت بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق نفوذ كل منهما في نهر النيجر وبحيرة تشاد، وقد حصلت فرنسا فيها على المنطقة الواقعة بين حوض النيجر وتشاد[3].

لما أصبحت الظروف الدولية مواتية أمام الفرنسيين لتنفيذ مشروعهم التوسعي بدؤوا حملاتهم العسكرية على هذه الممالك الواقعة في حوض بحيرة تشاد إلا أنَ هذا الزحف لم يكن سهلا [4].

---

1. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق.

2. شوقي الجمل، **تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية**، القاهرة، 1980م، ص409.

3. ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق، ص349.

4. محمد فؤاد شكري، **السنوسية دين ودولة**، مراجعة يوسف المجريسي، محققة، ط1، مركز الدراسات الليبية، أكسفورد، 2005م، ص ص 151- 155.

فقد تصدت الممالك والحركات العربية الإسلامية في تلك المناطق بضراوة لهذا الغزو على مدى أكثر من عشر سنوات متواصلة تكبد فيها الفرنسيون خسائر فادحة، على الرغم من اختلال ميزان القوى العسكرية بين الطرفين، وكانت دولة رابح بن فضل الله واحد من أبرز تلك القوى العربية التي وقفت بوجههم[1].

بالإضافة العامل السابق يوجد هناك سبب آخر ساهم فيتوجه ر ابح فضل الله نحو بحيرة تشاد ، و هي أنه بعد اتهام سليمان بن الزبير باشا بعصيان الحكومة الفرنسية أمره الضابط الايطالي جسي بالاستسلام لكنه رفض، لكنه انتهى بتسليم نفسه استجابة لأوامر والده الزبيرفي حين أنَ رابح فضل الله ر فض الاستسلام مع شريكه سليمان، ولذلك فر باتجاه الغرب وعبر الحدود الغربية لدارفور 1879م، وهناك أقام مملكة واسعة في حوض بحيرة تشاد[2].

و عموما فإن الأوربيين حاولوا من خلال ادعاءاتهم الكاذبة والمغرضة تشويه الزبير باشا وابنه وشريكهما رابح فضل الله بالادعاء أنهم مجرد تجارا للرقيق لا يهمهم الدفاع عن أرض المسلمين و لا محاربة الاستغلال الأوربي بقدر ما هو السيطرة و جمع الثروة [3]، وهي نفسها الإعاءات و الأفكار التي نجدها في كتابات الأوربيين وخاصة تقارير الضباط الإنجليز و الفرنسيين في تفسير سبب توجه ربح فضل الله نحو الجنوب أو لتفسير حركته من أساسها[4].

---

1. محمد فؤاد شكري، المرجع السابق.
2. ضرار صالح ضرار، **تاريخ السودان الحديث**، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م، ص 92.
3. عبد السلام بغدادي، **الجماعات العربية في أفريقيا دراسة في أوضاع الجاليات والأقليات العربية في أفريقيا جنوب الصحراء**، د ط، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005م، ص955.
4. ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق، ص 358.

2 – مسيرة رابح بن فضل الله نحو الغرب :

بعد مغادرة الزبير باشا إلى القاهرة ترك فراغا رهيبا في صفوف السلطة والأمن هناك فاندلعت الفوضى و الاضطرابات ،و هو الأمر الذي دفع بالخديوي إسماعيل ملك مصر إلى الاستعانة بالجنرال البريطاني غوردون باشا، وتعيينه حاكما على السودان (حاكمدار السودان) فاخضع لسلطته السودان بأكمله، وخوله صلاحيات واسعة، حيث تولى غوردون باشا هذا المنصب في المدة الممتدة بين 1877و1879م. وفي هذا الوقت بالتحديد كان الزبير باشا يشعر بأنَ لا حكومة الخديوي في مصر ولا حاكمدار السودان السابق ثمنا جهده الكبير في سبيل مصر ومكانتها في السودان، خاصة لما منح الخديوي ثقته لرجل أجنبي غريب عن البلاد في الوقت الذي حجبها عن ابن السودان المخلص له، وكان سليمان بن الزبير يقوم بأعباء والده التجارية في السودان في غيابه، كما كان يشغل منصب مدير على بحر الغزال طيلة سنوات وجود أبيه بمصر، وعندما تسلم غوردون حاكمدارية الخرطوم منح سليمان رتبة البكوية[1] وعينه حاكما على بحر الغزال ، ولكن تآمر عليه الرجال الذين كانوا في خدمة والده فوجدت وشاياهم طريقها السهل إلى مسامع غوردون باشا دون أنَ يكلف نفسه عناء التحقق من صدقها فتراكمت الأحقاد على سليمان[2].

لما قامت الثورة في دارفور بقيادة الرشيد [3] في عام 1877م، طلب غوردون من سليمان أنَ يزحف بقواته من بحر الغزال ليشارك في قمع هذه الثورة في دارفور، وفي هذه

---

1. **االبكوية**:هي رتبة سياسية واجتماعية كان الخديوي و النظام المصري يمنحها للرجال المخلصين لدزلته وكان ينجر عنها امتيازات اجتماعية وسياسية مهمة.
2. ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق، ص 358.
3. **عبد الرحمان الرشيد**، هو ملك دارفور كان يتيما و تميز بالورع و التقوى و الصلاح، خلف الملك القوي عمه محمد تيراب، و قوام التدخل المصري في بلاده. انظر، ابن عمر التونسي، **تشحيذ الاذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، مح خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، الدار المصرية، القاهرة، 1965م.

الأثناء كان إدريس الذي كان يعمل مساعدا للزبير باشا في تجارته ببحر الغزال وهو من قبيلة الدناقلة، وكذلك السعيد حسين وهو أحد قادة السناجق لدى الزبير يواصلان تحريضهما لغوردون على سليمان [1].

لمَا التقى غوردون بسليمان في بلدة " دارة أمر ه"أنَ يعمل تحت إمرة إدريس أبتر، كما عين إدريس مديرا على بحر الغزال بدلا من سليمان الذي لم يتقبل هذا الأمر بسهولة وأعلن احتجاجه عليه، ولمَا شعر غوردون بخطئه هذا عاد ومنح سليمان البكوية من الدرجة الثانية، ولكن أبقاه تحت إمرة إدريس أبتر، وما لبث الخلاف أنَ نشب بين إدريس وسليمان في بحر الغزال وأرسل إدريس قوة بقيادة عثمان ابتر للقبض على سليمان، إلا أنَ هذا الأخير انتصر على عثمان وقتله، بعدها هرب إدريس إلى الخرطوم وأبلغ غوردون أن سليمان ثار على الحكومة بإيعاز من والده، لذلك شكل غوردون باشا محكمة عسكرية لمحاكمة الزبير وابنه سليمان غيابيا، كما ألقى القبض على عدد من أقارب الزبير، حيث أصدرت هذه المحكمة حكما بالإعدام على الزبير وابنه سليمان ومصادرة جميع أملاكهما، وحبس جميع أفراد العائلة حتى النساء والأطفال منهم، وأرسل نسخة من هذا الحكم إلى الخديوي إسماعيل ليقوم بتنفيذ الإعدام بحق الزبير وممتلكاته، أثارت هذه الإجراءات دهشة الخديوي إسماعيل الذي كتب إلى غوردون باشا يبلغه بأنه لايعتقد أنَ للأب علاقة بالموضوع، كما أنه لا يجوز حبس النساء والأطفال دون ذنب، إلا أنَ غوردون أصر على موقفه وطلب من رومولو جسي الإيطالي الذي عينه في إدارة السودان أنَ يلقي القبض على سليمان ويقتله مباشرة تنفيذا للحكم الجائر الصادر بحقه مقابل 1000 جنيه مكافأة له[2] .

1. ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص 91.
2. نفسه، ص 92.

إلا أنَ جسي لم يتمكن من سليمانلولا أنَ الزبير كتب لابنه من مصر ينصحه بعدم عصيان الحكومة وتسليم نفسه لها فاستجاب لأمر والده واستسلم لهم[1]، لكن رابح بن فضل الله رفض فكرة الاستسلام وانقسم الجيش إلى قسمين، قسم مال إلى تسليم رئيسه سليمان بن الزبير قسم أخر اعترض هذا القرار تزعمه رابح بن فضل الله وعلى إثر ذلك انسحب رابح [2].

لمَا سلم سليمان نفسه للقائد جسي كان معه حوالي اثني عشر رجلا من أقاربه، فقام جسي بتقييدهم وأمر بقتلهم جميعا في 14جويلية 1879م، وبمقتل سليمان انتهت الثورة في بحر الغزال، إلا أنَ الحكومة فقدت ثقة الأهالي بها، كماإنَ سياسة البطش والخيانة التي مارسها غوردون باشا وأتباعه الأوروبيين جعلت الناس يفهمون بأنها حرب يشنها الكفار على المسلمين الأمر الذي مهد الطريق لانضمام الناس هناك إلى الحركة المهدية وانطوائهم تحت لوائها، كما عمقت الشعور لدى كل ثائر عربي مسلم أنَ استسلامه إلى هؤلاء الأجانب معناه الغدر به، وهذا ما كان يتوقعه رابح فضل الله، الذي كان من أعوان الزبير المخلصين له ولابنه سليمان، والذي كان شريكا لسليمان في ثورته على إجراءات غوردون التعسفية، لهذا لم يسلم نفسه مع سليمان لجسي بل عبر الحدود الغربية لدارفور في عام 1879م، وهناك أقام مملكته الواسعة في حوض بحيرة تشاد، ورغم ذلك نجد هناك محاولاتالمصادر الأوروبية تشويه صورة الزبيرباشا وابنه سليمان ثم بعد ذلك رابح بن فضل الله بتصويرهم بأنَهم تجار رقيق وقطاع طرق وما إلى ذلك[3] .

---

1. آدم كردى شمس، **يسألونك عن تشاد (مملكة رابح السوداني)** متاح بتاريخ 2016/11/02م WWW.Sudanile.com/index.php?option تم الإطلاع عليه يوم 2017/02/01م.

2. نفسه.

3. ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص 92.

ومن جهة أخرى تحاول تبرير تصرفات القائد جي باعتبار هم مقتل سليمان ابن الزبير 1879م على يد الملازم جسي هو عمل انضباطي ضد ضابط حاول التمردو الفرار مع عدد من قواده[1]، ومن الواضح أنَ جسي حاول بهذه الفعلة التغطية على جريمته في قتل سليمل ورفاقه بعد أنَ سلموا نفسهم له، كما أراد النيل من شجاعتهم عندما ادعى بأنهم حاولوا الفرار من المعركة [2].

اتجه رابح فضل الله بعد دخوله أرض تشاد إلى منطقة وداي، وعندما خالف سليمان في بعض الأمور انفصل عنه وأصبح سيد نفسه و زعيما لمؤيديه ومسؤولا عن مصيرهم، وعمل مدة في التجارة وبعدها استقر رأيه نحو تكوين إمارة عربية ليؤمن لأتباعه الأمن والاستقرار والثرو ة والسلطة وتوريث سلطته من بعد ذلك لأبنائه من بعده[3].

والحقيقة التي ذكرتها المصادر كما روينا آنفا فسليمان لم ينسحب بل قتل على يد جسي مع عدد من أعمامه بأمرمن غوردون بعد أنَ سلم نفسه لجسي، كما أنَه من غير المعقول أنَ يكون رابح فضل الله على رأس القوة المنسحبة في الوقت الذي كان يرافقه سليمان خليفة أبيه الزبير وقائد عسكره وحاكم بحر الغزال من بعده كما أنَ المصادر لم تشر إلى دخول سليمان إلى تشاد، أو أنه اختلف مع رابح فضل الله في الرأي إلا في قضية الاستسلام لجسي [4].

خرج رابح من ديم الزبير في جويلية 1879م، وكان معه ما يقارب الألف رجل، حاملين معهم 400 بندقية، واستقر في بلدة " بندة " التي استقر فيها إلى غاية، عام 1880م ثم

---

1. ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق، ص 359.
2. عبد السلام بغدادي، المرجع السابق، ص955.
3. نفسه، ص 956.
4. بابكر الجاك بابكر، المرجع السابق، ص 317.

عاد إلى دارفور حيث بايعه أتباعه من القادة والزعماء ومنحوه لقب أمير، وفي عام 1881م حارب سلاطين دارفور وهزمهم[1].

ورغم محاولة المصادر التاريخية الأجنبية التقليل من قيمة رابح بن الزبير وحركته الجهادية، حيث حاولت أن تقدمه لنا على أساس أنه مجرد مقاتل تابع لجيش سيده الزبير باشا، وأنه انتهز فرصة انحلال هذا الجيش فانشق عنه مع جماعة من أتباعه ليحقق مشروعه الخاص به، وأنه ليس أكثر من تاجر رقيق مثله مثل الزبير باشا، حيث حاولت هذه المصادر أن تعطي بذلك للدول الاستعمارية سببا وذريعة لمحاربته والقضاء على مشروعه السياسي، حيث يذهب مادهو بانيكار إلى القول بأن رابح فضل الله الذي كان جنديا في الجيش المصري في السودان، كان مجبر على الانضمام إلى هذا الجيش من أجل اصطياد الرقيق وبيعهم، وأنه كان دائم التربص بجيش الزبير باشا حتى يتمرد ويثور عليه ليشتغل لحسابه الخاص، لهذا فما إن سنحت له الفرصة حتى تحرك نحو الغرب بجيش صغير قوام تسعمائة وستين من حملة البنادق، وكان يطمح أنَ يؤسس لنفسه مملكة وهي غاية نذر لها طاقاته الهائلة، ومن أجل تحقيق هذه الغايةكان عليه أنَ يحصل عل أكبر قدر ممكن من الأسلحة الحديثة، وسبيله الوحيد إلى ذلك هو أسر الرقيق وبيعهم للتجار وكان جيشه صغيرا ولكنه مزود بالبنادق الحديثة، وفضلا عن ذلك كان مقسما إلى ألوية ويتولى قيادته وتدريبه جنود محترفون[2] .

في عام 1883م كان تحت إمرته 1500 من الجنود المسلحين بالبنادق، واستطاع بهذه القوة أنَ يهزم جيشا كبيرا سيره إليه سلطان وداي، أصبح الطريق إلى بحيرة تشاد

---

1. بابكر الجاك بابكر، المرجع السابق، ص 318.

2. مادهو بانيكار، **الوثنية والإسلام-تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب أفريقية**، تر أحمد بلبع، ط1، منقحة، المجلس الأعلى للثقافة، د م ن، 1998م، ص 282.

ممهدا أمامه كمَا أصبح باستطاعته شَن غارات من أجل الرقيق في منطقة واسعة للغاية[1].

و هنا نجد أنفسنا مرة أخرى أمام كتابات منحازة و غير موضوعيه تعتمد على وجهات نطر غربية و كتاباتهم المغرضة و ذلك في غياب المصادر المكتوبة من أطراف عربية إسلامية، حيث طغت على المصادر السودانية الرواية الشفوية غير مدونة.

1. مادهو بانيكار، المرجع السابق.

الفصل الثالث: إنجازات رابح بن فضل الله في بحيرة تشاد

أولا : تكوين إمبراطورية رابح فضل الله

1. التوسع جنوب دارفور ومملكة وداي
2. استيلاء رابح فضل الله على باغرمي وبرنو

ثانيا : رابح الزبير والصراع مع القوى الأوروبية

1. رابح فضل الله ومحاولات الإحتواء البريطانية
2. مقاومة رابح بن فضل الله للغزو الفرنسي
3. نهاية رابح فضل الله

لقد تعلم رابح من تجربته مع الزبير باشا دروسا التزم بها وسار عليها في بناء دولته، وهي أنَ تكوين الدول والإمارات ليس مستحيلا لمن يملك القوة و المال اللازمان لذلك مع وجود قيادة وشجاعة وفطنة تجيد استخدامها .

ولذلك قاوم رابح فضل الله بكل شجاعة الأعداء بمن فيهم الاستعمار الفرنسي والزعماء المحليين مثل السلطان عبد الرحمن جورانج، وقام بالاستيلاء على مناطق متعددة بجيشه المسلح بالبنادق مثل وداي وكل من مملكتي باغرمي وبرنو وأجزاء من سوكوتو، واتخذ من دكوة عاصمة له، وشكل جيشا قويا به وبذكائه أسس أول دولة عربية حقيقة في تشاد وأجز اء من الكاميرون والنيجر الحالية، وهذا ما أدى إلى اصطدامه بالتغلغل الفرنسي في وسط القارة الإفريقية .

أولا: تأسيس إمبراطورية رابح فضل الله:

بعدتنقل رابح فضل الله نحو الغرب و انفصاله عن سيده الزبير باشا، بدأ طموحه يكبر ويسعى إلى تجسيد مشروع سياسي يحمل بصماته الخاصة، حيث بدأ يسعى الى تأسيس امبراطورية في مناطق السودان الأوسط ستحمل اسمه فيما بعد، ولتجسيد هذا الهدف كان على رابح فضل الله التوسع جنوبا أولا وذلك على حساب الممالك السودانية المتواجدة هناك وهي دارفور و وداي.

1- التوسع جنوب دارفور ومملكة وداي :

لقد توجه رابح بن فضل الله ما بين عامي 1880و1884م، بقواته نحو قبيلة الأزندي[1] وأسس هناك سلطنة خاصة به، فقد قام بالهجوم على دار كوتي ودار رونقة، وكانت هذه المناطق تابعة لمملكة وداي يديرها السلطان كبر بن عمر، ثم قام بعدة غارات في المنطقة الواقعة بين سلامات و أوبلنجي، ومن ثم توجه نحو بحيرة إيرو ومارس نفوذه في بلاد الجنوب وعلى الأخص في دارسيلا، وفي أوائل 1884م تلقى رابح دعوة من محمد المهدي دعاه فيها للانضمام إلى صفوف المهدية، حيث لم يستجب لهذه الدعوة خلال مراسلاته الأولى، ولكنه خلال الدعوة الثالثة، وبينما كان رابح يتحرك نحو السودان، ولما اقترب من بلوغ حدود دارفور

---

1. **قبيلة الأزندي:** هي ثاني أكبر مجموعة قبلية بعد قبيلة الدينكا بجنوب السودان ،وهم يحتلون منطقة واسعة تغطي جنوب غرب مديرية بحر الغزال ذكر المؤرخون أنَ الزاندي هم عبارة عن مجموعة قبائل قد تجمعت وتعايشت فكونت مجتمع الزاندي الحديث، كما أنهم لم يأتو ا دفعة واحدة أو في زمن واحد ومن جهة واحدة إنما دخلوا السودان وفي دفعات وتواريخ مختلفة ومن مناطق شتى، ولا تخضع قبائل الزاندي خضوعا تاما لزعيم واحد وإنَما كل قبيلة يتزعمها ويترأسها أحد زعماء فرع القنجارا . عن موقع الكتروني:WWW.Sudaneseoneline .

الجنوبية وصله نبأ وفاة المهدي في 22 جوان 1885م و خلفه عبد الله التعايشي، لهذا أوقف رابح فضل عن السير وقرر الرجوع إلى دار كوتي[1].

رغم أنه لا توجد لدينا دلالات قوية تثبت انضمامه إلى دعوة المهدي، إلا أن بعض المؤرخين يتخذون من بعض المؤشرات أدلة لإثبات انضمامه إليها، ومن هذه مؤشرات مثلا اتخاذ راية المهدية راية لجيشه ذات اللونين الأخضر والأسود مطرز عليها اسم الجلالة و هو نفس الأسلوب الذي كان يتخذه المهدي في حروبه، وكان يشكل أهم ميزة لجيش المهدي، حيث كان يطلق على كل لون اسم من أسماء الخلفاء الراشدين[2]، لكن على خلاف هذا الرأي فلقد رأى بعض الباحثين الآخرين أنَ رابح فضل الله لم يرد على الدعوة المهدية بل واصل توسعه في الجنوب الغربي من دارفور، فضم إلى ممتلكاته دار رونجا[3].

وعموما فإنه من المتعارف عليه، هو أن المهديسبق له و أن راسل رابح بن فضل الله ثلاث مرات متتالية يدعوه فيها للانضمام إلى حركته، حيث كانت المراسلة الأولى في عام 1886م والثانية في عام 1887م أما الثالثة فكانت في 1888م، إلا أن رابح فضل الله لم يرد على الرسالتين الأولتين، بينما كان رده على الرسالة الثالثة غامضا ومبهما، و هو ما يجعلنا نعتقد أنَ رابح فضل الله لم يكن متحمسا كثيرا للانضمام إلى حركة المهدي، بقدر ما كان منشغلا بتأسيس مملكته الخاصة، ولم يكن يرى كثير جدوى من الالتحاق بحركة المهدي وخليفته التعايشي[4].

1. بابكر الجاك بابكر، المرجع السابق.
2. نفسه .
3. ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق، ص 362.
4. عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص217.

وبحلول عام 1889م كان رابح فضل الله قد نجح في إقامة مملكة على درجة عالية من الاستقرار وامتد نفوذه إلى نهر شاري[1]، وتمكن من القضاء على القبائل الوثنية هناك مثل قبائل الملتوس(Miltous) والبواسي(Bouas) والساراس(Saras) والاليتونز(Alitous)، واستطاع أنَ ينشر الدين الإسلامي بين سكان هذه القبائل، ثم واصل تنظيم شؤون القبائل على ضفاف نهر شاري حتى عام 1893م[2]، وبتشجيع منه تخلى سلطان مملكة دار كومبي عن ولائه إلى ملك وداي، ورغم محاولة هذا السلطان التمرد على سيطرة رابح فضل الله والاستقلال بمملكته الا انه تعرض لهزيمة نكراء[3].

تمكن رابح فضل الله إلى غاية عام 1890م من فرض سيطرته على عدد من المدن الصغيرة التابعة إلى مملكة وداي مثل دار كوتي ودار تاما ودار سيلا ودار رونقا وكريش ودار باندا، وتقع هذه المدن إلى الجنوب والجنوب الشرقي من وداي واتخذ من مدينة دكوة[4]على ضفاف نهر شاري جنوب بحيرة تشاد عاصمة له، وفي سنة 1891م قتل الرحالة بول كرامبل (Paul crampl) في دار باندا من قبل القبائل التابعة لسلطة رابح فضل الله حيت استولى هذا الأخير على 300 بندقية كانت بحوزة القوة التي كانت يقودها كرامبل و هو ما جعل جيشه يتعزز بتسليح نوعي[5].

---

1. مادهو بانيكار، المرجع السابق، ص272.

2. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص147.

3. مادهو بانيكار، نفسه.

4. **دكوة** : تقع اليوم في شمال شرق نيجيريا وفي غرب مدينة قصيري على بعد 200كلم.

5. WWW.1911encyclopeedia consulté le : 01/03/2017

*. أنظر الملحق رقم 03 ص 65 صورة تمثل مدافع رابح الزبير.

2. استيلاء رابح فضل الله على مملكتي باغرمي وبورنو :

إنَ حصول رابح على هذا العدد من الأسلحة من كرامبل يشير إلى أنَ هذا الأخير لم يكن مجرد رحالة أو مستكشف، وإنما مغامر كانت له أهداف عسكرية ضد رابح ومملكته، وهذا ما أكده الباحثون إذ ذكروا أنَ رابح فضل الله كان قد دخل في صراع مع الفرنسيين الذين كانوا يحاولون ربط ممتلكاتهم في شمال أفريقيا بممتلكاتهم في غرب أفريقيا ووسطها، و أن كرامبل هو الذي كان يقود تلك الحملة من شمال إلى وسط أفريقية، ولكن سلطان دار كومبي قام بمهاجمة قواته، قبل أن يستولي رابح فضل الله على أسلحته وكمية كبيرة من الذخيرة مكنته من تشكيل قوة سار بها نحو وداي لاحتلالها إلا أنَ مقاومة أهل داي العنيدة أجبرته على التراجع إلى مملكة الباغرمي سنة 1893م [1].

بعد ذلك توجه رابح فضل الله شمالا لإتمام هدفه الكبير في ضم دولة الباغرمي الإسلامية التي تقع وسط أفريقيا، حيث اضطر للهجوم عليها ليفتح الطريق نحو وراء نهر شاري غربا، فهاجم مانهافا[2] الواقعة جنوباً لمدة خمسة أشهر حتى سقطت سنة 1894م[3]، بعدما استسلم أميرها للفرنسيين وعقد معاهدة معهم. وفي عام 1897م زار الكولونيل الفرنسي إميل جنتيل(Emile Jentul) مملكة باغرمي حيث استقبله سلطان ماسينا جورانج استقبالا حسنا في عاصمته، وعقد معه معاهدة صداقة وتحالف ضد رابح فضل الله [4].

لما علم رابح فضل الله بالتحالف الذي عقده ملك باغرمي مع الفرنسيين هاجم سلطانها جورانج واستولى على كل دولته، ثم توالت انتصاراته وتوسعاته في المنطقة[5]، فهرب

---

1 . WWW.1911encyclopeedia, Op.Cit.

2. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 150.

3. الهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص178.

4. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، نفسه .

5. نفسه.

السلطان جورانج الثاني ولجأ إلى القائد الفرنسي إميل جنتيل (Emile Jentul)، ويصف لنا مؤيد صادق العظم كيفية استيلاء رابح على مملكة باغرمي قائلا: « استولى رابح على أكثر من أربعين إمارة في السودان بعد حروب معها وبعد ذلك نزل إلى باغرمي وهي من أقسام وداي، وفي شهر رمضان سنة 1310هـ بعد حصار مدته خمسة أيام تمكن من الاستيلاء على باغرمي وهي مدينة شيدت على ضفاف نهر كنهر النيل، وتحيط بها أسوار من كل جانب، وخلال هذا الحصار تواجد بداخل المدينة عدد يزيد عن العشرين من تجار طرابلس وبنغازي وأوجلة و جاو»[1].

توالت انتصارات رابح وتوسعاته في المنطقة وكانت آماله تراوده في غزو إمبراطورية برنو، إذ قرر البدء في هذه العملية في ديسمبر 1893م[2]، حيث قام بإرسال رسالة إلى أمير برنو السلطان هاشم (1885م-1893م) يقول له فيها(إما أنَ تدخل في طاعتي أو آتيك بجيشي)، ولما وجده يماطل جمع جيشه وتوجه إلى برنو[3].

ويضيف العظم تفاصيل أخرى عناحتلال رابح لمملكة برنو قائلاً : « كان حاكم برنو خلال شهر ربيع الأول في موقع يبعد مسافة يومين عن مدينته وهو عائد لحينه من بحيرة تابغة ومعه جنوده، وتقابل الجيشان ولكن رابحا بدأ الهجوم على خصمه وانتظم جيش رابح فضل الله كالعادة في شكل مربع يتقدمه المشاة وبأيديهم المارتيني والونجستر[4] يلوحون بها، كان جيش برنو شكل متجمع وغير منتظم ومسلح بأسلحة قديمة، ومجموعة مسلحة بالرماح

---

1. صادق مؤيد العظم، **رحلة في الصحراء الكبرى**، تر، د.عبد الكريم أبو شويرب، ط1، مركز جهاد الليبين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998م، ص ص 23، 24.
2. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص150.
3. صادق مؤيد العظم، نفسه.
4. **المارتيني والونجستر**: هما نوعان من الأسلحة المتطورة في ذلك الوقت.

والسهام واستمرت الحرب ساعتين وانتهت بهزيمة جيش برنو، وفر هاشم أسرته إلى مجلس يسمى منقرية على بعد ثلاثة أيام من برنو حيث جعل منها مركزا ومقرا لجيشه ودولته»[1].

واختلفت رواية المؤرخ بانيكار عن رواية صادق مؤيد العظم بشأن احتلال رابح لمملكة برنو، فبينما يذهب صادق مؤيد الى أن سلطان برنو حاول التصدي لحركة رابح فضل الله في المهد أيقبل أنَ يستفحل أمره، إذ لم يكن يملك سوى جيشا مكون من ثلاث آلاف مقاتل فقط و مسلحين بالبنادق فقط، في حينأنَ ملك برنو كان باستطاعتهأنَ يرسل إلى الميدان جيشا يزيد على جيش رابح فضل الله بعشر مرات، لهذا قرر سلطان بورنو مهاجمة رابح فضل الله، لكن هذا الأخير باغته بالهجوم فوجد جيش برنو نفسه يغوص في مستنقعات شاسعة، لكن بانيكار يناقض هذا الكلام ويذهب إلىأنَ جيش بورنو كان أقل تنظيما من جيش رابح فضل الله النظامي الذي يسوده الانضباط وهو ما أدى إلى هزيمته أمام جيش رابح الزبير[2].

لكن يظهرأنَ المؤرخين اختلفا في تحليل انتصارات رابح فضل الله ضد الشيخ هاشم ملك دارفور، وتلك التي خاضها ضد خليفته كياري.و هو ما يجعلنا نقول بأن رابح الزبير خاض ثلاث معارك مع قوات برنو الأولى مع الشيخ هاشم التي انتصر فيها رابح انتصارا ساحقا، والثانية مع خليفته كياري بعدما قام هذا الأخير بقتل خاله الشيخ هاشم وتولى الحكم بدلا منه، وقاد رجاله وسار بهم لمواجهة رابح، والتقت قوات كياري مع جيش رابح بالقرب من مدينة كوكا العاصمة 1894م وذلك بقصد التنكيل برابح وجيشه. ولقد ودارت معركة عنيفة استمرت يوما كاملا حقَق فيها كيار ي نصرا ظاهرا على رابح الزبير واستولى على معسكره،

1. صادق مؤيد العظم، المرجع السابق.

2. نفسه.

وارتكب أبشع الأعمال الوحشية ضد رجال رابح الزبير، كما أصيب في تلك المعركة رابح فضل الله بجوح خطير ة، لكنه لم يستسلم وأعاد توزيع الذخيرة على قواته [1].

أما المعركة الثالثة فكانت لما قام رابح الزبير في صباح اليوم الموالي بمهاجمة معسكر برنو من جديد، حيث عجزت أمامه قوات برنو علىالصمود طويلاً أمام تلك الهجمات المفاجئة لقوات رابح الزبير التي أصرت على الثأر بأي ثمن[2]، حيث هرب جنود برنو وفضل كياري الاستسلام لرابح الذي أمر بتنفيذ حكم الإعدام فيه جزاء علىما اقتر فه من قتل النساء والأطفال والشيوخ. بعدها واصل رابح المسيرة إلى عاصمته كوكا حيث وجدها خاوية على عروشها، فبدأ بتعميرها من جديد بعد أن أخضع بقية أطراف مملكة برنو لسلطانه [3].

ويذكر أيضا أن رابح الزبير لما احتل مدينة بورنو قدم الأمان لكل السكان ثم دخل إلى مكان الأمير المغلوب وحمل بعض الصناديق وعددها ثلاثة أو أربعة، لكنها لم تكنتحتو ي على أي شيء ذا قيمة، كما غنم نحو ثلاثين أو أربعين مدفعاً بلا عجلات، كما غنم رابح فضل الله على الأسلحة التي استولوا عليها من التجار الليبيين الذين قدر عددهم بما يزيد عن مائة وخمسين تاجر اً، إلا أنَه لم يمس بضاعتهم. وفي اليوم الثاني استدعى رابح الزبير هؤلاء التجار وسألهم عن سبب تورطهم في هذه الحرب و هم أجانب في ديار الغربة، فأجابوه لَبنَ حاكم المدينة أجبرهم على ذلك وانصاعوا له مكرهين، فقبل منهم هذا التبرير وطمأن نفوسهم وعفا عنهم[4]، بعدما أعادرابح فضل الله تنظيم جيشه طلب من أهالي برنو الرحيل و حذرهم بأنَه من سيتخلف عن ذلك ستصادر أملاكه في برنو بعد مرور شهرين، ثم اتجه إلى مدينة

1 . مادهو بانيكار، المرجع السابق، ص317.

2. نفسه.

3. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 151.

4. نفسه، ص152.

دكوة التي تبعد مسافة ستة أيام من برنو وهي أفضل منها لنقاء وصفاء مائها وهوائها، وقد اتخذها رابح عاصمة له[1].

ولقد صحب معه عددا من التجار الليبيين الذين حظوا بعطف ورعاية فائقة منه، لكن عندما طلبوا منه تسريحاً بالسفر والعودة إلى بلادهم أجابهم إلى ذلك وأغدق عليهم بالهدايا مثل الجواري والجمال لنقل بضاعتهم وأرسل معهم رجالاً لحمايتهم، ولما وصلوا إلى وداي اعتقد سلطانها أنَهم يميلون إلى رابح فضل الله وأنهم أصبحوا من أتباعه أو جواسيسه لهذا سلب أموالهم وسبى جواريهم ونهب تجارتهم ، فعادوا إلى بلادهم وهم في حالة يرثى لها[2].

لقد بدأ رابح الزبير بعد هذا في إرساء دعائم دولته انطلاقا من هذه العاصمة، فأدخل ضريبة الرأس بمقدار دولار على كل فرد باعتبارها أسهل وسيلة لدعم مداخيل دولته الفتية، كما عمل على تشجيع الطرق التجارية و القوافل المتجهة نحو طرابلس، فدانت له كل بلاد برنو وتوسعت إمبراطوريته لدرجة أنَه فكر في غزو إمبراطورية الفولاني في سوكوتو[3]، حيث تشير بعض التقارير الفرنسية إلى أنَ رابحً الزبير جمع جيشه في بورساري(Borsari) مابين كوكا وكانو[4]، واستعد لغزو سوكوتو لكنه رجع عن هذه الفكرة بسبب نقص الإمدادات اللازمة لمثل هذا الغزو، لكننا نشك في هذه التقارير لأنَ السيد والاس(Wellas) وكيل شركة النيجر الملكية عندما زار سوكوتو في عام 1894م،أشار إلى أنَ العلاقات بين رابح الزبير

1. صادق مؤيد العظم، المرجع السابق، ص 165.
2. نفسه، ص167.
3. **سوكوتو:** تقع على نهر الكيبي إلى الشمال الغربي من كانو، هي عاصمة الإمبراطورية الفولانية التي أسسها عثمان دانفوديو (1754-1818م) .
4. **كانو:** إحدى ممالك الهوسا إلى الغرب من برنو دخلها الإسلام في وقت مبكر وحكمها منذ تأسيسها 999م نحو 48حاكماً.

والخليفة في سوكوتو كانت ودية للغاية، لكن مهما يكن فإنه يبدو عموما أن العلاقات بين رابح فضل الله ودولة سوكوتو بعد عام1896م بدأت بالتوتر[1].

بعدما منع خليفة سوكوتو التجارة مع برنو قام رابح فضل الله بإرسال ابنه فضل الله للإغارة على سلطنة زندر[2] وهي إحدى أحياء برنو الواقعة شمال سوكوتو، لكن نجاح هذه العملية كان محدوداً، وفي أوت 1898م تقدم رابح الزبير نحو سوكوتو ولكنه لم يواصل مسيرته بسبب قدوم حملة فرنسية بقيادة إميل جنتيل، فاضطر للانسحاب[3].

وبعد أنَ أخضع رابح الزبير مملكة برنو بدأ بتنظيم الإدارة فيها ونشر الحضارة بين ربوعها، حيث قسم البلاد إلى مقاطعات وجعل على كل منها حاكم من أعوانه المقربين له ولقد كان رابح يمثل السلطة العليا التي تصدر الأوامر والقوانين، ولقد بلغت إمبراطوريته حوالي 150000كلم^2 وتضم أكثر من خمسة ملايين نسمة[4].

لقد استقر رابح في بلاد برنو ونقل العاصمة من كوكا إلى مدينة دكوة التي أصبحت عاصمة له مدة سبع سنوات، و اتخذ من الدين الإسلامي وشريعته أساسا للحكم في دولته، وصار القرآن الكريم دستور الدولة وساد الأمن والاستقرار، وأحبه الناس وتنازلوا عن الكثير من المناطق له، واتسم نظامه باللامركزية وظل يحمل لقب أمير الذي أطلق عليه منذ عام 1880م، أما من الناحية القضائية فقد كانت دولته دولة مدنية يتولاها الفقهاء الذين يعينهم

---

1. العظم، المرجع السابق، ص 167.

2. زندر: تقع إلى الشمال الغربي من برنو وكانت إحدى الإمارات التابعة لها، وهي أقرب إلى فزان من برنو أهلها يعملون بالتجارة هي مدينة متحضرة وقوية في ذلك الوقت.

3. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص153.

4. نفسه.

رؤساء المقاطعات، ولم يتدخل رابح الزبير في القضاء إلا في حالات نادرة، أما جيش رابح الزبير فكان يتكون من مجموعتين تولى قيادة إحداها بنفسه[1].

عندما غادر رابح الزبير بحر الغزال في عام 1879م كان يرافقه مابين 1000 و6000 من الزنوج، وحوالي 300 من حملة البنادق وارتفع هذا العدد إلى 15000 رجل عام 1887م، ويضم جيش رابح حوالي 29 فرقة عسكرية يتراوح أفر اد كل فرقة مابين 1000 و1500 رجل، وكان الجندي يتلقى تدريباً شاقاً، بينما كان يقوم بالتفتيش على قواته بنفسه كل يوم جمعة، وعند حدوث أي قصور في الاستعدادات يستدعي الضابط المسؤول عن الفرقة ويقوم بمعاقبته عن طرق جلده، كما انضمت إلى قوات جيش رابح الزبير قوات الشيخ حيات بن سعيد أحد أحفاد الشيخ عثمان دانفوديو في سوكوتو، حيث لما علم بقدوم رابح فضل الله إلى الغرب ترك له مدينة أدماوا (Admaw) مع نوابه وانضم إلى قوات رابح الزبير[2].

ثانيا : رابح والصراع مع القوى الأوروبية:

1- رابح ومحاولات الاحتواء البريطانية :

أسست بريطانيا أربع شركات تجارية في أفريقيا بعد سيطرتها على ميناء لاغوس النجيري 1851م، وهذه الشر كات هي: الشركة الأفريقية في الشمال والشركة الشرقية في الشرق، والشركة الغربية في الغرب وشركة بورينوللتجار ة في الشمال الشرقي، وعلى إثر المنافسات الألمانية والفرنسية اندمجت هذه الشركات الأربع في شركة واحدة هي الشركة الأفريقية

1. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق.
2. نفسه، ص 154.

المتحدة عام 1879م برئاسة جورج كولدا (George Kolda) (1846 –1925م) الذي زار نيجيريا سنة 1877م [1].

وفي عام 1882م أعلنت الحكومة البريطانية عن تأسيس شركة النيجر الملكية بلاً من الشركة الأفريقية المتحدة، ومنحتها صلاحيات واسعة كالإدارة وعقد المعاهدات وفرض الضرائب وشؤون التجارة في جميع أقاليم حوض النيجر، وبسبب المشاكل التي نشبت بين هذه الشركة والدول الاستعمارية الأخرى المجاورة لها، وكذلك مع القبائل الأفريقية قررت الحكومة البريطانية عام 1899م أنَ تتولى بنفسها الأمر في نيجيريا فاشترت حقوق شركة النيجر الملكية، ودفعت لها تعويضاً مغرياً عن جهودها هناك، وهكذا أصبحت مصالح بريطانيا لا تبعد كثيرا عن دولة رابح فضل الله فكان من مصلحتها عدم الاصطدام به[2].

حاول رابح الزبير ضمان مساعدة بريطانيا ضد التغلغل الفرنسي في المنطقة وقطع لها العهود بعدم التعرض لمصالحها من خلال الاتصالات التي أجراها مع ممثل الشركة الملكية (البريطانية) وخلال سنتي 1894و1895م طالب ممثل الشركة أنَ يزوده بالبارود، وعندما لم يجد منه استجابة لجأ إلى استخدام التهديد ضده حتى آلت الأمور إلى قطع جميع العلاقات بينهما عام 1896م، ومنذ عام 1879م بدأ بالتقدم نحو مملكة كانو، إلا أنَ البريطانيين أقنعوه بالتراجع[3]، وربما كانت هذه المحاولات هي الوحيدة التي جرت بين الطرفين لبناء علاقات تعاون مشترك فرضتها مصالح الطرفين للوقوف بوجه التوسع الفرنسي في ذلك الجزء من أفريقيا[4].

---

1. عبد الله هبد الرزاق، المرجع السابق، ص155.

2. حنان طلال جاسم، **التطورات السياسية الداخلية في النيجر 1960–1979م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2014م، ص ص 17، 18.

3. حنان طلال جاسم، نفسه.

4. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، نفسه، ص156.

بعد أنَ أقام رابح دولته على أسس الشريعة الإسلامية أعلن حرباً جهادية ضد الأجانب " الكفار" وضد القوى التي تتحالف معهم ضده، رغم محاولة بريطانيا وفرنسا تحسين علاقاتها معه لتجنب الدخول الاصطدام معه، وكانت بريطانيا تريد ربط علاقات معه،و هي الفكرة التي أثارها السير إيفلن بارنج (Evelyn Baring) المعتمد البريطاني في مصر في رسالة بعث بها إلى اللورد سالسبوري(Salspore)[1] رئيس وزراء بريطانيا حينذاك في جوان 1891م، إلا أنَ سالسبوري لم يعرها أي اهتمام، وفي عام 1894م حاولت بريطانيا الاستعانة بسيده الزبير باشا رحمت حيث أرسل في 04 أفريل 1896م رسالتين إلى رابح فضل الله، لكن إحداهما وقعت في أيدي الأتراك في طرابلس، بينما وصلت رسائل أخرى إلى رابح فضل اللهوقام بالر َد عليها معلناً استقلاله عن الزبير باشا[2]، وفي أوت 1898م التقى الكولونيل ويجنت (Wijnet)[3] بالزبير باشا وأبلغه أنَه تلقى رسالة من أحد أتباعهم في بنغازي وكان قد وصل تو ًا من دكوة أفاد أنَ رابحًا أنكر كل معرفته بالزبير باشا، كما أنَه احتجز ثلاثة من رسل الزبير وأعدمهم وأكد رابح فضل اللهأنَ لا تربطه مع الأوروبيين إلا الحرب[4].

وفي08 فيفري 1899م بعث اللورد فردريك لوجارد (Fredrick Lugard)[5] برسالة إلى وزارة المستعمرات البريطانية تقرير ًا عن رابح جاء فيه ما يلي :

---

1. **اللورد روبرت سيسل ماركيز سالسبوري:** (1830–1903م)درس في أكسفورد فتزعم حزب المحافظين البر يطاني، تسلم عدة مناصب قبل أنَ يصبح رئيسًا للوزراء عام 1885م سقطت حكومته سنة 1892م، كان له دور في إنهاء حرب البوير ثم استقال عام 1901م وتوفي 1903م.
2. ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق، ص367.
3. **وجنت(1861– 1953م):** جنرال بريطاني كان سردار الجيش المصريوحاكمًا عامًا للسودان 1899م.
4. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص156.
5. **فردريك لوجارد :** ضابط بريطاني ولد سنة 1808م، قاد حملات عديدة في أفريقيا تولى منصب المفوض السامي البريطاني في مستعمرة نيجيريا الشمالية للمدة 1900–1907م وتوفي 1945م .

أولاً : عدم الالتحام المباشر مع رابح بن فضل الله ومحاولة الاستفادة منه وذلك لأنَ الحملات الفرنسية والألمانية سوف تلتحم مع قوات رابح فضل الله على بحيرة تَشاد، ومن المحتمل أنَ يضطر رابح إلى التوجه شرقًا ومن ثم تنقطع اتصالاته بمناطق النفوذ الإنجليزية.

ثانيًا: وعورة المنطقة وبعد المسافات وقلة القوات البريطانية الموجودة في غرب أفريقيا تجعل من الصعب الدخول في صراع مع جيش رابح الزبير القوي، ويمكن أنَ يحمل البريطانيين خسائر كبيرة في الأرو اح والأموال لا سيما شركة النيجر.

ثالثًا:إنَ طرق التجارة القادمة من طرابلس وغيرها من دول البحر المتوسط ومن شرق النيل والسودان تلتقي عند بحيرة تشاد، وبالتالي يمكن تطوير هذه التجارة لصالح البريطانيين وعرقلة جهود الفرنسيين بإقامة تجارة نشطة (العاج، ريش النعام) مع رابح الزبير.

رابعًا:إنَ مناخ منطقة النيجر مثل كل البلدان الأفريقية الكبرى يعد مقبرة للرجل الأبيض، وبالتالي تصعب المغامرة بإرسال أعداد كبيرة من البريطانيين[1].

إنَ توصيات لوجارد تعني عدم الاحتكاك مع قوات رابح فضل الله، والانتظار حتى يدخل هذا الأخير في حروب مع الدول الأخرى وبالتالي القضاء على نفوذه دون أنَ تتكبد بريطانيا أي خسائر في الأرواح أو الأموال[2].

2- مقاومة رابح فضل الله للغزو الفرنسي:

يذكرجوزيف كي زيربو أنَ رابح الزبير كون لنفسه مملكة واسعة يدافع عنها جيش حسن التنظيم والتجهيز مؤلف من خمسة وثلاثين ألفا من الرجال[1]؛ بعد أنَ احتل رابح باغرمي

1. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص157.
2. نفسه.

ودخل عاصمتها ماسينا طالب المسيو جيلان وزير المستعمرات الفرنسي باتخاذ الإجراءات اللازمة للدخول في حرب مع رابح فضل الله حتى يتقرر مصير المنطقة نهائيًا، فأصدرت فرنسا أوامرها إلى إميل جنتيل بالذهاب فور اً إلى نهر شاري لمساعدة السلطان جورانج سلطان باغرمي، وعلى الفور اتجه جنتيل في 1897/02/15م إلى مدينة برازافيل في الكونغو الفرنسي، ثم اتجه نحو نهر شاري هذا الوقت الذي كان رابح قد احتل جبال تجباو الواقعة إلى الشرق من كانو التابعة لقبائل الباغرمي، أرسل إميل جنتيل إلى السلطان جورانج يطلب منه عقد معاهدة صداقة وتحالف مع الفرنسيين، ورحب السلطان الذي ترتعد فرائصه من رابح فضل الله بهذا العرض ورحب باللقاء مع جنتيل في ماسينا العاصمة، وبالفعل وصل جنتيل إلى هناك عن طريق أحد روافد نهر شاري وتم توقي المعاهدة في 17أكتوبر 1897م[2].

كما وقع جنتيل أيضا معاهدات مع سلطان وبري وسلطان جفرا [3]، ثم عاد إلى فرنسا بهذا النصر العظيم وبعد أنَ احتل رابح فضل الله مملكة برنو ودخل عاصمتها كوكة ظل سلاطينها المخلوعين يناصبون رابح فضل الله العداء كما أنَ هذا الأخير كان في عداء مع سلطان زندر الذي رفض أنَ يدفع له الإتاوة التي كان يدفعها لسلطان برنو السابق، هيأت الأجواء الظروف المناسبة ليقوم الفرنسيون بحملاتهم للإسقاط مملكة رابح والقضاء عليه، في تلك الظروف تمكن الفرنسيون من تعزيز وجودهم في السنغال والكونغو شمال نهر النيجر واحتلوا تمبكتو في 1894م، وهكذا أدرك رابح فضل اللهأنَ صدامه مع الفرنسيين الذين أخذوا يقتربون من حدود مملكته آت لا محالة، وفي جوان 1899م وصلت قوة فرنسية بقيادة بريتونية(Britonia) إلى كانو تساندها قوة تابعة لجورانج سلطان باغرمي السابق، فتقدم نحوها

---

1. جوزيف كي زيربو ، **تاريخ أفريقيا السوداء** ، القسم الأول، تر، يوسف شلب الشام، ط1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1994م، ص ص 502، 503..

2. سعيد الحنديري، المرجع السابق، ص 51.

3. نفسه.

رابح فضل الله بقوة كبيرة صاعدا نهر الشاري حتى وصل إلى كانو فانسحب بريتونية مع القوات المتحالفة معه إلى مكان آخر واتخذوا منه موضعا دفاعيا إلا أنَ رابح فضل الله ما لبثأنَ أوقع به وبحليفه هزيمة ساحقة[1] .

وفي 17 جويلية 1899م هاجم رابح الزبير بريتونية وحمل على المواقع الفرنسية وأشاع الاضطراب في الفرق الفرنسية وذبح عددا كبيرا من رجال بريتونية وعرفت هذه المذبحة بمذبحة" تجباو" ولم ينجح من القوات الفرنسية سوى ثلاث من السنغاليين فر واحد منهم إلى جنتيل وأخبره بما حدث، وقد أسرع جنتيل لمحو عار هزيمة بريتونية وعسكر في" فورت أرشمبولت" الواقعة على بعد مائة ميل من كانو[2]، وأصدر أوامر في أكتوبر 1899م إلى الكابتن روبيلوت (Robillot) أنَ عليه محو عار هزيمة " تجباو"، وخلال هذه الفترة جرت حادثة أخرى أثارت الفرنسيين ضد رابح فقد قتل فرديناند دي بيهاجل(Ferdinand De Behagale) وكان يعمل مندوباً لإحدى المؤسسات التجارية في فرنسا، ثم اتجه في بعثة لإنشاء مركز تجاري حول بحيرة تشاد ونهر شاري، وقد أحسن رابح الزبير استقباله في بداية الأمر وعلم رابح فضل الله أنَه يمتلك عددا من البنادق فعرض عليه شرائها ولكن فرديناند

دي بيهاجل(Ferdinand De Behagale)رفض فاحتجزه ر ابح فضل الله في دكوة وعاد يفاوضه من جديد، ولكنه رفض فألقى القبض عليه وبعد انتصار رابح فضل الله على بريتونية أمر بإعدام دي بيهاجل، وأدت هذه الحادثة إلى سخط الفرنسيين على رابح الزبير فهاجمت قوات جنتيل كانو واضطر رابح إلى إخلائها وأيقنت وزارة المستعمرات بأنَ الأمور

1. ظاهر محمد صكر الحسناوي، المرجع السابق، ص 369.
2. إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص180.

لن تستقر لها في تشاد وفي أفريقيا الغربية الفرنسية إلا بالقضاء على ر ابح فضل الله، ولذلك تكونت ثلاث حملات كان هدفها جميعًا الوصول إلى تشاد والقضاء على دولة رابح الزبير[1].

خرجت الحملة الأولى 1899م من السنغال بقيادة كل من فولييه (Voulet) وشانوان (Chanoine)، والحملة الثانية من الجزائر بقيادة فورو لامي (Foureau_Lamy)، أما الثالثة فجاءت من الكونغو بقيادة إميل جنتيل ولكن هذه البعثات أعلنت الكثير من أجل الوصول إلى تشاد، فبعثة فولييه وشانوان القادمة من السنغال عانت من نقص المياه وعداء السكان، وحملة فور لامي القادمة من الجزائر تعرضت للكثير من المخاطر حتى وصلت إلى زندر ومنها إلى تشاد[2].

وصلت البعثتان فور لامي من القادمة من الجزائر وبعثة جنتيل القادمة من الكونغو إلى تشاد، أمَا بعثة شانوان وفولييه القادمة من السنغال فبالإضافة إلى عداء الأهالي ارتكب أفراد البعثة الكثير من المخالفات، فقد حدث نزاع على القيادة بين كل من شانون وفولييه، فأرسل إليهم القائد الأعلى للفرق العسكرية في السودان كلا من جلوب (Klobb) وباليه (Pallier) لتولي القيادة منهم ولكن شانوان رفض وأطلق النار على جلوب، ولكن سرعان ما قتل الجنود الفرنسيين كلا من شانوان وفولييه وأصبحت القيادة في يد باليه الذي تقدم و احتل Tessaoua وزندر وعاد باليه تاركًا القيادة لجولاند (Jolland) الذي قام بقتل أحمدو وماداني سلطان زندر انتقامًا لقتل كزماجو (Cazemajou)، وتلك الحملة ارتكبت الكثير من الفظائع أثناء تقدمها جنوب تشاد، كما قامت بذبح العديد من النساء والأطفال، وخلفت العديد من الجثث، ولقد حاول المؤرخون الفرنسيون تعليل هذه المذابح والاضطرابات التي حدثت لأفراد الحملة مثل إقدام شانوان على قتل زميله جلوب ورفضه تسليمه القيادة إلا أنَ العداء الذي لقيه أفراد

1. إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 180.
2. نفسه، ص 181.

الحملة ومهاجمة الوطنيين لهم أثناء تقدمهم هو العامل الرئيسي الذي أدى إلى إرهاق أعصابهم، بالإضافة إلى رداءة الطقس ولكن الضباط الفرنسيين أراد كل منهم تحقيق لنفسه مجداً عسكرياً[1].

عمل جولاند بعد توليه القيادة على أنَ يعيد تنظيم قواته لتوجه نحو بحيرة تشاد، وكان معسكر على الضفة اليسرى لنهر شاري، وكانت جولفي تقع بالقرب من النهر وهي مجرد قرية صغيرة تحت حراسة جيش رابح فضل الله الذي رفض استقبال بعثة فرنسية جاءت للاتصال به، فقام بإعدام أعضائها في السوق في العاصمة دكوة[2].

قام جيش الجولفي بإطلاق النار على فرنسي يدعى فورو الذي أراد أخذ صور لجولفي، وإثر هذا دقت الطبول استعداد للحرب وبدأ الهجوم الفرنسي على جولفي بقيادة لامي، ولكن القوات كانت قد غادرت المنطقة في الليل وأخلت جولفي تماما، ولقد أرسل الكابتن جولاند (Jolland) إلى إميل جنتيل في قاعدته بفورت أرشمبولت أحد رجاله ليخبره بوصول القوة، وما إنَ علم جنتيل بذلك حتى تحرك في 13مارس 1900م نحو الشمال للقاء به وبقوات الكابتن لامي التي بلغت إقليم كانم شرقي بحيرة تشاد، وتم اللقاء بين جنتيل ولامي بالقرب من جولفي حيث كان يعسكر رابح بن فضل الله ومعه ألف رجل وحاول لامي الاستيلاء على جولفي، ولكن وجد صعوبة في ذلك فقرر الزحف على كوسيري الواقعة إلى الجنوب منها واحتلالها حتى يقطع الاتصال بين فضل الله وبقية جيش المسلمين في دكوة، وقرر لامي معاودة الهجوم على كوسيري ولكنه كان ينتظر قوات جنتيل، ولما أحس لامي أن التأخير في الهجوم يعني الخوف وضعف القوة، فغير رأيه وقرر الهجوم وكانت معركة كوسيري مذبحة مروعة لكلا الطرفين، حيث جمع لامي جيشه وأطلق النيران على المدينة وأمطر بوابل من

1. إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص181.
2. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 162.

الرصاص، ولكن المدينة لم تكن في الاستعداد بعد للهجوم الفرنسي الغاشم، فكان موقف قوات رابح فضل الله صعب لأنَها لم تجد بدًا من عنف الهجوم إلا ترك المدينة والخروج منها عبر النهر، وبعضهم ألقوا أنفسهم في النهر فماتوا غرقًا[1]، ولقد أصيب رابح فضل الله في رجله اليمنى وجن جنونه لما فقد تسعة من قياده[2].

بعد ذلك أشعل لامي النيران في المدينة بحثا عن المواد الغذائية كالأرز والشعير والعسل،وبعد أنَ استولى لامي على كوسيري، انسحب فضل الله من جولفي واتجه إلى لوجون جنوبي كوسيري وأقام فضل الله معسكرا في المناطق الريفية حتى يتربص بقوات الفرنسيين أثناء تحركاتهم، ونجحت خطة رابح فضل الله حيث صار العدو محاصرا من كل الجهات، ولما سمع بالتطورات الخطيرة في كوسيري توجه نحوها وفرض الحصار عليها، وكان هذا التكتيك الحربي في حد ذاته عملا رائعًا وتخطيطا سليما، وخاض معارك عديدة حتى بنى هذه الدولة الإسلامية بعد طرده من السودان، وكان خطة رابح التخلص من لامي في كوسيري قبل وصول جنتيل بقواته، لكن لم تتحقق آمال رابح في الحصار لأنَه حاصرها من البَر فقط فترك الفرصة لجنتيل للوصول عبر النهر وهكذا أحبطت خطة رابح[3].

لما دخل جنتيل كوسيري بصعوبة وانضم إلى قوات لامي تجمعت الحملات الفرنسية الثلاثة في 21 أفريل 1900م في هذه المدينة [4]، في الوقت الذي كان رابح فضل الله كان قد اختار موقعه في مكان مرتفع على أجزاء نهر شاري وفي مكان حصين استعداد للمعركة المصيرية مع القوات الفرنسية وكان عليه أنَ يواجه هذا الحشد الفرنسي لحملات ثلاث بالإضافة إلى السلاطين المحليين وخصوصًا السلطان عبد الرحمن جورانج، الذي كان يساند

1. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص162.

2. Gaston Dujaric,Op.cit, p137.

3. عبد الله عبد الرزاق، نفسه، ص163.

4. إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 182.

الفرنسيين و عونا لهم ضد رابح بن فضل الله حيث زودهم بكل ما يحتاجونه من طعام وشراب ومعلومات، وكان هذا التحالف بين القوى المحلية وقوات الغزو الأوروبي من العوامل التي فتَتت جهود المسلمين وناصرت أعداء الدين، ولولا هذا التحالف لكان رابح الزبير ورجاله بمقدورهم أنَ يقاوموا ويصمدوا ويناضلوا ويحققوا النَصر[1].

بدأت المعركة الأخير ة بين رابح فضل الله والفرنسيين حيث تحرك لامي نحو معسكر رابح بن فضل الله ومعه القوات من الفرنسيين والسنغاليين وقوات سلطان باغرمي، وتسللت هذه القوات عبر الشجيرات والأعشاب وفي 22 أفريل 1900م عسكرت القوات الفرنسية على حافة المنطقة المكشوفة انتظارا لإشارة بدء الهجوم على رابح فضل الله وكانت قوات لامي أطلقت النار على بعض من قوات رابح الزبير وكان هذا إيذانا لبدء المعركة المصيرية، حيث رابح الزبير ردَ عليهم بإطلاق النَار وفي الساعة العاشرة من ذلك اليوم أصدر لامي الأوامر لإطلاق النار على قلعة رابح فضل الله، حيث قام هذا الأخير بإطلاق النار عليهم فأحدث خسائر فادحة في القوات الفرنسية وصمدت القوات الإسلامية، ولكن الفرنسيين استعانوا بالجيش الاحتياطي[2]، وبأوامر من الضابط لامي وتحت خطة تم اختراق جيش رابح الزبير بضربة خاطفة وحدثت إبادة مرعبة، في هذا الوقت التي ظهر فيها أنَ النجاح نهائي مضمون للامي[3]، واشتبكوا في مذبحة مروعة استخدم فيها المدافعون السلاح الأبيض[4]، قد عرفت باسم« كبكب »، واضطر رابح الزبير للانسحاب بعد هذا الهجوم الغاشم إلى خارج الحصن

---

1. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص164.

2. محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي _ التاريخ المعاصر شرقي أفريقية**، ط2، المكتب الإسلامي بيروت، 1997م، ص 235.

3 .Gaston Dujaric,Op.cit, p137.

4. محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي _ التاريخ المعاصر شرقي أفريقية**، نفسه، ص 235.

الذي دخله الفرنسيون بقيادة الكابتن لامي، حيث وجد الفرنسيون الجثث وقاموا بإشعال النيران في الأكواخ فحولوا المدينة إلى كتلة من ملتهبة من النيران[1].

اندفع رجال الطرق الصوفية من المسلمين نحو الفرنسيين فقامت معارك السلاح الأبيض والتشابك بالأيدي. فقامت المقاومة في كل شارع ومنزل وواجهوا الفرنسيين رغم عدم التكافؤ بين القوتين، ولقد كبدوا الفرنسيين خسائر فادحة في معداتهم وأراوحهم، واستطاع الفرنسيين أسر عدد من رجال رابح الزبير ،واعتقد الفرنسيون أنَ رابح الزبير قد انسحب من ميدان القتال تاركا هذا القدر من الخسائر ولكن رابح فضل الله هذا المجاهد المسلم بالرغم من سقوط مدن كاملة تحت السَيطرة الفرنسية، إلا أنَه لم يفقد الثقة بالله ورفض الاستسلام لأعداء الإسلام، وأعاد تنظيم ما بقي من قواته وعاود الهجوم على الحصن لاسترداده، ولم يتوقف عن القتال حتى أصاب الكابتن لامي بطلقة في صدره أردته قتيلا جزاء بما اقترفه من أفعال وأخطاء مشينة ضد المسلمين[2] .

ولقد جعل الفرنسيون المدينة التي قتل بها قائدهم على أبو ابها وهي كسيري قاعدة لهم، وأطلقوا عليها اسم" فورت لامي" وتعني قلعة لامي تخليداً لقتيلهم، فلقد أرهقت هذه الاشتباكات قوات رابح فضل الله الذي ظل صامداً ومقاوما حتى النهاية[3].

---

1. عبد الله عبد الرزاق، المرجع السابق، ص 167.
2. نفسه.
3. محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي _ التاريخ المعاصر شرقي أفريقية**، المرجع السابق، ص235.

*. أنظر الملحق رقم 04 ص 66 الذي يوضح المعركة التي قتل فيها مقتل لامي.

5- نهاية رابح فضل الله:

لمَا نفذت ذخيرة رابح بن فضل الله وقل عتاده ومات عدد كبير من قواده جاءت نهايته المحتومة بعد صراع طويل[1]، فذكر الضابط الفرنسي غاستون دوجاريك (Gaston Dujaric) أنَ الفرنسيين ومعهم فرسان تابعين لسلطان منطقة باغرمي تتبعوا جيش رابح فضل الله على طول مسافة 3 كلم قبلأنَ يتمكنوا من محاصرة أحد أعوانه المدعو قادام (Gaddem) وقطع رأسه، كما تتبعوا رابح فضل الله الذي أصيببجروح بليغة في ر جله اليمنى، حيث تم قتله من طرف أحد الرماة السودانيون الذين كانوا ضمن الجيش الفرنسي، بعدها تم قطع رأسه[2]، ولفو ا به في مدينة دكوة، حيث انتشر خبر وفاته بسرعة البرق، وبذلك انتهت مقاومة رابح فضل الله باستشهاده سنة 1990م قرب بحيرة تشاد بعد فترة مليئة بالأحداث واستمرت سبع سنوات من 09 ماي 1893م حتى 22 أفريل 1900م[3].

بعد مقتل رابح فضل الله عمل الفرنسيون على مصادرة أملاكه و أسلحته ومدافعه الثلاثة من أصل أربعة التي استولى عليها من حملة بريتونية(Bretonnet) كما تم عرض حوالي 500 جثة من بينهم كبار ضباط جيش رابح فضل الله[4].

---

1. زاهر رياض، **الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث**، د ط، القاهرة، 1960م، ص109.

2. Gaston Dujaric, Op.cit, p137.

3. عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص167.

4 .Gaston Dujaric, Ibid.

لقد خلف رابح فضل الله من بعده ابنه فضل الله الذي قام بلمَلمة جيش أبيه وحاول أن يواصل ما قام به و الده، ولكن يبدو أن حركته لم تعمر طويلا بحيث لم تنته سنة 1900م حتى قتله الفرنسيون وأسروا رجاله[1].

أمَا عن السنوسيين الذين كانوا على حياد في الصراع الدائر بين رابح الزبير والفرنسيين فسرعان ما أدركوا الخطر الذي يهددهم وخاصة بعد مقتل رابح فضل الله، فشنوا عدة هجمات على الفرنسيين من واحة جغبوب مركزهم الرئيسي بقيادة خليفة الطريقة سيدي محمد البراني، ولكنه سرعان ما سقطت المراكز السنوسية بدورها في أيدي الفرنسيين خلال عامي 1902م و1903م وانتهى الأمر بانسحابهم نحو الشمال تاركين الجنوب للفرنسيين[2].

ومنه نستنتج أنَ رابح بن حركة رابح فضل الله، كانت حركة مقاومة ومشروع دولة حقيقية،لكنها كانت ضحية انعدام تو ازن القوة بينها وبين القوة الفرنسية، المدعمة بالأسلحة المتفوقة وعدد الجيش و المجندين من شعوب المستعمرات الفرنسية، بالإضافة إلى تخلي السنوسيين عنه وموقفهم الحيادي إزاء ذلك الصراع.و هو ما جعله يناضل أمام عدو جبهات.

---

1. محمد فؤاد شكري، **السنوسية دين ودولة**، مراجعة، يوسف المجريسي، ط1 ، محققة، مركز الدراسات الليبية، 2005م، ص148.

2. نعوم شقير، **تاريخ السودان**، تح، محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت، 1981م، ص303.

* . أنظر الملحق رقم 05 ص67 الذي يوضح مقتل رابح فضل الله .

خاتمـــــــــة

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة المتواضعة يمكننا أنَ نقول بأنَ مقاومة رابح فضل الله تعد مقاومة تندرج ضمن الحركات الجهادية التي عرفتها أفريقيا جنوب الصحراء مثل حركة عثمان دان فوديو، والحاج عمر تال، وحركة ساموري توري، إلا أنَها تختلف عن تلك الحركات بتركيزها على الجانب العسكري ومقاومة الاستعمار، واتخاذ لها للجانب الإصلاحي.

كما أننا يمكن أنَ نخرج من هذه الدراسة بجملة أخرى من النتائج لعل أهمها :

لِ َ رابح بن فضل الله السوداني تلك الشخصية العربية القادمة من أعماق السودان، واحد من أهم رموز النضال الوطني التحرري في التاريخ التشادي، إذ الاستعمار بكل قوته حتى نهايته، في حين أنَ مقاومة رابح فضل الله تعد ر َد فعل قومي حربي إسلامي ومحاولات الاستعمار الأوروبي للتوغل في شرق أفريقيا ومنطقة تشاد، على الرغم من محاولات المفوضين الأوروبيين تشويه السياق التاريخي لهذه الحركة ومحاولة اعتبارها ظلما بأنَها حركة رجل أفاق وتاجر رقيق يطمح للثروة والسلطة مستغلا ضعف جيش سيده الزبير باشا.

ولا يفوتنا في هذه الخاتمة إلا أنَ ننوه بعبقرية رابح فضل الله من خلال قدرته الفائقة على التنظيم والقيادة وبناء الإستراتيجيات رغم الدسائس والتحالفات قامت ضده بين الأوروبيين.

أمَأهم نتيجة يمكن أنَ نذكرها فهي أنَ مقاومة رابح فضل الله كانت آخر مقاومة، عطلت التوغل الأوروبي في السودان الأوسط بعدما انهارت مملكة البورنو التي كانت تمثل معقل الإسلام في بحيرة تشاد ونواحيها.

بنهاية مقاومة رابح فضل الله لم تعد هناك أمام الاستعمار الفرنسي والبريطاني أي عقبة في مواصلة مسيرته الاستعمارية في تشاد وبنين ونيجيريا .

قـائــمة
البـبليـو غرافيــا

قائمة المصادر والمراجع

أ- قائمة المصادر والمراجع باللغة العربية:

1- إبراهيم عبد الله عبد الماجد، **الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب أفريقيا واستوطنت سودان وداي النيل ودورهم في تكوين الهوية السودانية**، ط1، دار الحاوي للطبعة والنشر والتوزيع، د م ن، 1998م .

2- البكري(أبو عبيد)، **المغرب في ذكر بلاد أفريفية والمغرب هو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي**، القاهرة، د ت.

3- التونسي محمد بن عمر، **تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان**، محقق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، الدار المصرية، القاهرة، 1965.

4- الجمل شوقي، **تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها**، ط2، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1980م.

5- الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، م7، ط1، مطبعة السعادة، د م ن، د ت.

6- العظم صادق مؤيد، **رحلة في الصحراء الكبرى**، تر عبد الكريم أبو شويرب، ط1، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،1998م.

7- الفيتوري عطية مخزوم، **دراسة في تاريخ شرقي أفريقية جنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)**، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1998م.

8- اليعقوبي، **كتاب البلدان**، طبعة بريل، باريس، 1860م.

9- باري فاضل علي وكريدية سعيد إبراهيم، **المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة**، طبعة أولى، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007م .

10- بانيكار مادهو، **الوثنية والإسلام- تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب أفريقية**، تر أحمد بلبع، ط1، منقحة، المجلس الأعلى للثقافة، د م ن، 1998م.

11- جوان جوزيف،**الإسلام في ممالك وا مبراطوريات أفريقيا السوداء**، ترجمة مختار السويفي، دار الكتب الإسلامية، بيروت، طبعة أولى، 1984م.

12- رياض زاهر، **الاستعمار الأوروبي في العصر الحديث**، د ط، القاهرة، 1960م.

13- زبادية عبد القادر، **دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر مؤلفات العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ت.

14- سعيد الحنديري، **الحياة السياسية في تشاد منذ الإحتلال الفرنسي حتى نهاية حكم تمبلباي**، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 1998م.

15- شقير نعوم، **تاريخ السودان**، تح محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت، 1981م.

16- شكري محمد فؤاد، **السنوسية دين ودولة**، مراجعة يوسف المجريسي، ط1، محققة، مركز الدراسات الليبية،2005م.

17-ضرار صالح ضرار، **تاريخ السودان الحديث**، ط1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965م.

18- قشاط محمد سعيد، **أعلام من الصحراء**، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر، لبنان، 1997م.

19- كي زيربو جوزيف، **تاريخ أفريقيا السوداء**، القسم الأول، تر يوسف شلب الشام، ط1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1994م.

20- محمد علي ذهني إلهام، **جهاد المماليك الإسلامية في غرب أفريقيا ضد الاستعمار الأوروبي(1850-1914م)**، د ط، دار المريخ للنشر، الرياض، 1977م.

21- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي _ التاريخ المعاصر شرقي أفريقية**، ط2، المكتب الإسلامي بيروت، 1997م .

22- نور الدين شعباني، **محاضرات في تاريخ السودان الغربي**، د ط، دار الجزائر، الجزائر، 2015م.

23- بغدادي عبد السلام، **الجماعات العربية في أفريقيا دراسة في أوضاع الجاليات والأقليات العربية في أفريقيا جنوب الصحراء**، د ط، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،2005م.

ب- قائمة المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

1- Delafosse (Maurice), **les noirs de le l'afrique**, edition payot ,paris, 1941.

2- Dujarric Gaston, **La vie du sultan Rabah, Les francais tchad, librairie africaine et coloniale**, j, André, Editeur, 1902.

3- Gentil Emile, **La chute de l'empire de Rabah**, Libraiarie Hachette, paris, 1902.

4-Y.Urvoy, **histoire de l'empire du bornou** ,librairie larose, paris ,1949.

ج- قائمة الدوريات والمجلات باللغة العربية:

أ- المقالات :

1- الحسناوي ظاهر محمد صكر،« **رابح بن فضل الله السوداني قائد المقاومة الوطنية ومؤسس أول دولة عربية في تشاد(1846-1900م)**»، مجلة الأستاذ، ع 212، 2015م، من ص 347 إلى ص 381.

2- نور محمد محمد زين،«**منطقة حوض بحيرة تشاد ودورها في نشر الثقافة الإسلامية العربية**»، قراءات أفريقية، ع17،2013م، من ص 12 إلى ص 19.

3- يعقوب علي، «**الثقافة الإسلامية لمملكة برنو الإسلامية**»، قراءات أفريقية، ع 5، 2011م، من ص 22 إلى ص 26.

د- الدراسات:

1- الفاسي،«**منطقة تشاد عند مفترق الطرق » من كتاب تاريخ أفريقيا العام**، ط1، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس، 1988م. م 3

2- أوغوث، « **حضارة الكانوري المادية والإجتماعية » من كتاب تاريخ أفريقيا العام**، م5، ط1، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة، باريس،1997م.

3- رجب محمد عبد الحليم وآخرون، **الموسوعة الأفريقية لمحات من تاريخ القارة الأفريقية**، م1، د ط، منتدى سور الأزبكية، القاهرة، 1997م.

هـ- الرسائل الجامعية:

1- طلال جاسم حنان، **التطورات السياسية الداخلية في النيجر 1960-1979م**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، جامعة بغداد، 2014م.

2- عربسى موسى عبد الرحيم، **العوامل الفكرية و انتشار الإسلام في تشاد (دراسة في فلسفة الحضارة الإسلامية)**، رسالة ماجستر،الجامعة اللبنانية كلية الأدب و العلوم الإنسانية قسم فلسفة، غير منشورة.

3- شعباني نور الدين، **علاقات السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرنين الخامس والتاسع هجريين**، رسالة ماجستر في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2005م/2006م، غير منشورة .

4- لمين مستاك يحي محمد، **قضية دارفور وأبعادها الإقليمية والدولية دراسة من 2003- 2015م**، مذكرة لنيل شهادة ماجستر في العلوم السياسية، جامعة تيزي وزو، السنة الجامعية، 2013م، غير منشورة.

5- روابحي نسمة ونعيمة حمراراس، **حركة عثمان دان فوديو الجهادية وتنظيمات دولته خلال القرن التاسع عشر(19م) ميلادي**، مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة الجيلالي بونعامة، غير منشورة ، 2014-2015م.

6- عمار مرضي علاوي الجميلي، **المؤثرات الإسلامية في مملكة برنو الإسلامية**، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب قسم تاريخ، د س ن.

و- المواقع الإلكترونية:

1- آدم كردى شمس، **يسألونك عن تشاد (مملكة رابح السوداني)** متاح بتاريخ 2016/11/02م WWW.Sudanile.com/index.php?option يوم الإطلاع 2017/02/01م.

2-بابكر الجاك بابكر، **رابح الزبير من حلفاية الملوك إلى مملكة دكوة**، مقال منشور على الصحافة بتاريخ Sahafawriter@ yahoo. Com2012/09/21 متاح يوم 2014/10/14م. يوم الإطلاع : 2017/03/10م.

3-WWW.Sudaneseoneline. Conculté le 28/03/2018.

4-Encylopeedia Britannica (Rabih AZ_ Zubayr) WWW.aljazeeratalk.net. Conculté le :27/02/2017.

5- WWW.1911ecyclopedia.RabahZobeir.conculté leM 01/03/2017.

6- WWW.marefa.org< indx.php >. Coculté le : 25/03/2017.

الـمـــــلاحـق

الملحق رقم 01: خريطة توضح حدود بحيرة تشاد.

المصدر: محمود شاكر، تشاد، وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية، 1973م، ص23.

الملحق رقم 02: صورة توضح ملامح رابح فضل الله .

30. — *Niébé, fils de Rabah.*

الملحق رقم 03: صورة تمثل مدافع رابح فضل الله.

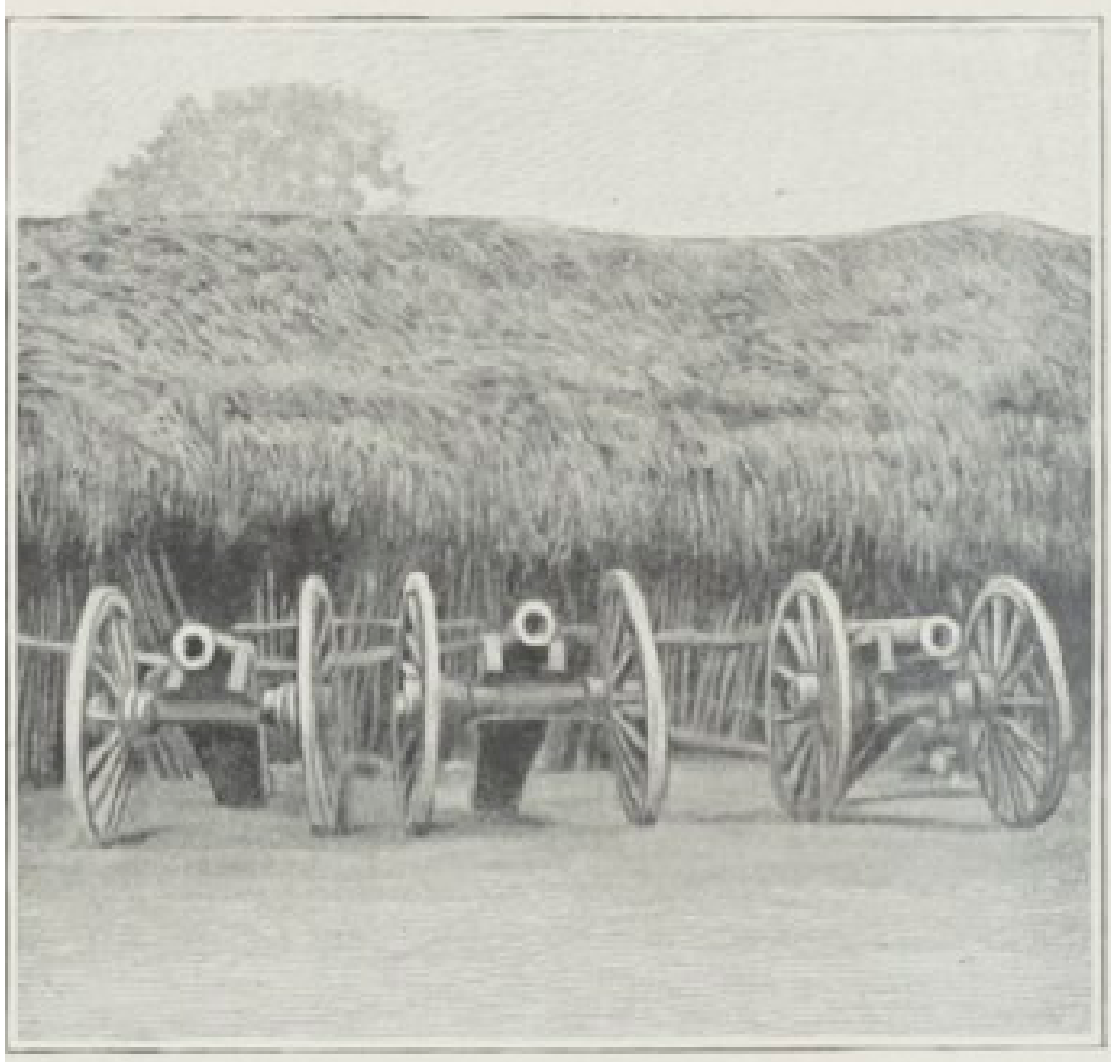

LES TROIS PIÈCES DE QUATRE REPRISES À RABAH.

المصدر: إميل جنتيل في كتابه La chute de l’empire de Rabah ص218.

الملحق رقم 04: صورة تمثل المعركة الأخيرة بين رابح فضل الله والفرنسيين .

المصدر: إميل جنتيل في كتابه La chute de l’empire de Rabah ص 215.

الملحق رقم 05: صورة توضح مقتل رابح الزبير .

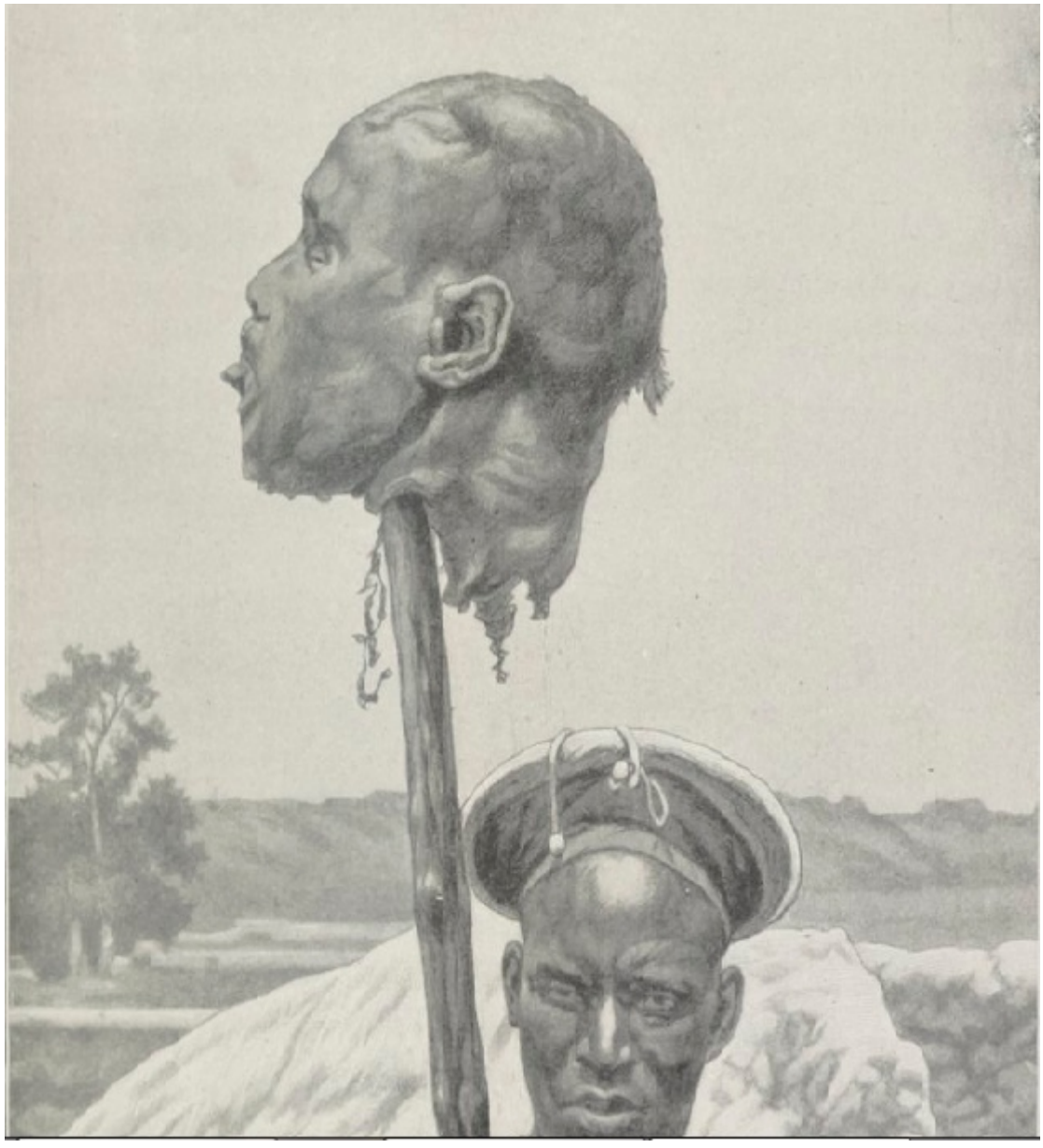

المصدر : إميل جنتيل جنتيل في كتابه La chute de l’empire de Rabah ص 221.

الفهرس

العناوين	ص
شكر	
إهداء	
مقدمة	01
الفصل الأول: أوضاع تشاد قبيل رابح بن فضل الله.	
أولا: الأوضاع الجغرافية .	07
1- التضاريس والمناخ .	07
2- السكان.	08
ثانيا: الأوضاع السياسية.	14
1- نهاية مملكة الكانم .	14
2- حركة محمد الأمين الكانمي.	17
الفصل الثاني: شخصية رابح بن فضل الله.	
أولا: مولد ونشأة رابح فضل الله .	22
1- مولد رابح فضل الله.	22
2- نشأة رابح الزبير.	24
ثانيا: توجه رابح فضل الله نحو الغرب.	28
1- الظروف التي دفعت برابح فضل الله للتوجه نحو الغرب.	28
2- مسيرة رابح فضل الله نحو الغرب.	30
الفصل الثالث: انجازات رابح فضل الله في بحيرة تشاد.	
أولا: تأسيس إمبراطورية رابح فضل الله.	38
1- التوسع جنوب دارفور ومملكة وداي.	38
2- استيلاء رابح فضل الله على مملكة الباغرمي وبورنو.	41
ثانيا: رابح الزبير والصراع مع القوى الأوروبية.	47

1- رابح فضل الله ومحاولات الاحتواء البريطانية.	47
2- مقاومة رابح الزبير للغزو الفرنسي.	50
3- نهاية رابح فضل الله.	58
خاتمة .	61
قائمة الملاحق.	63
قائمة الببليوغرافيا.	69
الفهرس.	

فهرس

الموضوعات